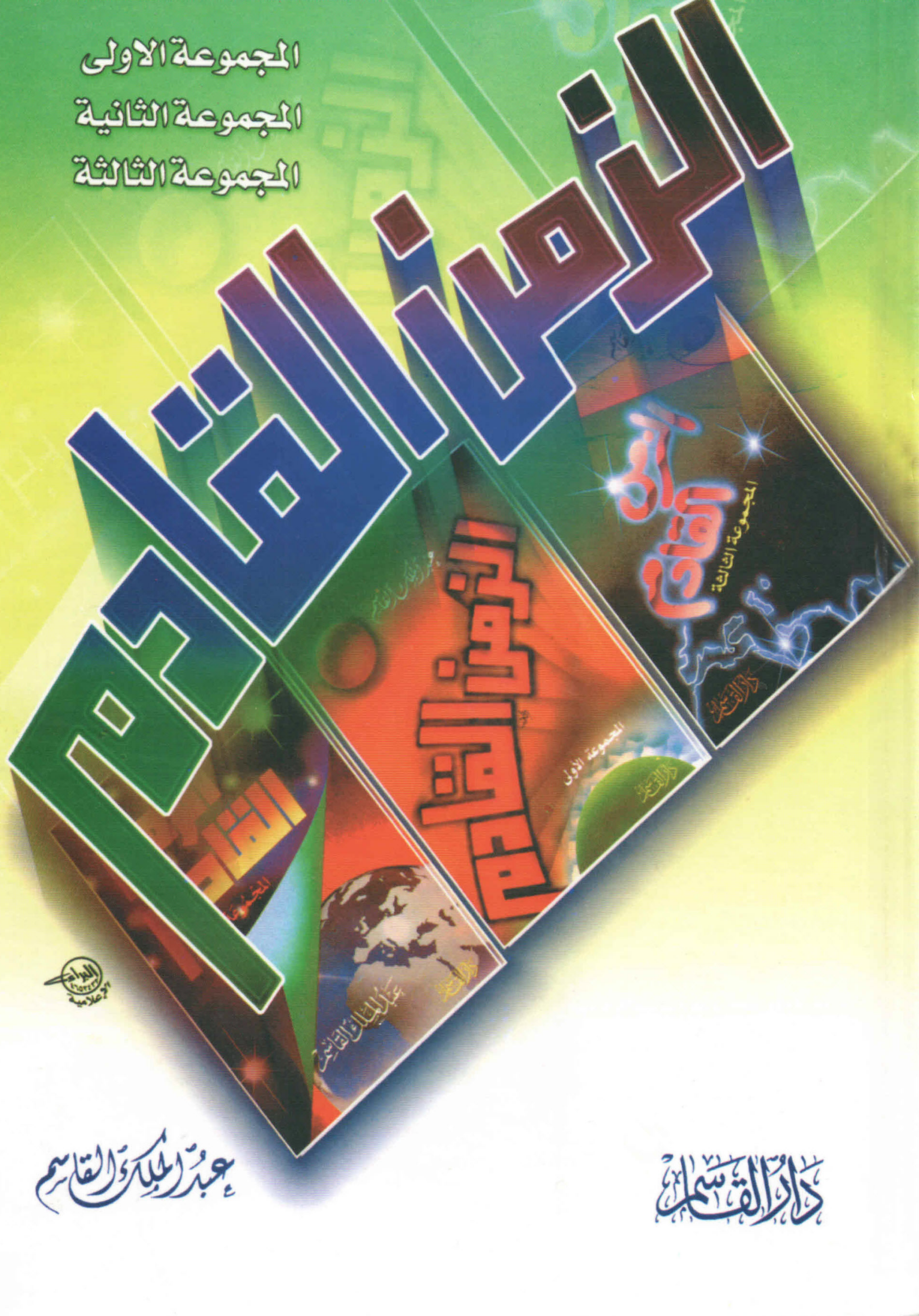

المجموعة الاولى
المجموعة الثانية
المجموعة الثالثة
الزمن القادم
عبد الملك القاسم
دار القاسم



ح دار القاسم للنشر والتوزيع ، ١٤١٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القاسم ، عبدالملك بن محمد

الزمن القادم .- الرياض.

٠٠٠ص ؛ ٠٠ سم

ردمك ٦-٨٢-٠٣٣-٩٩٦٠

١- الوعظ والارشاد ٢- التوبة ٣- القصص الاسلامية

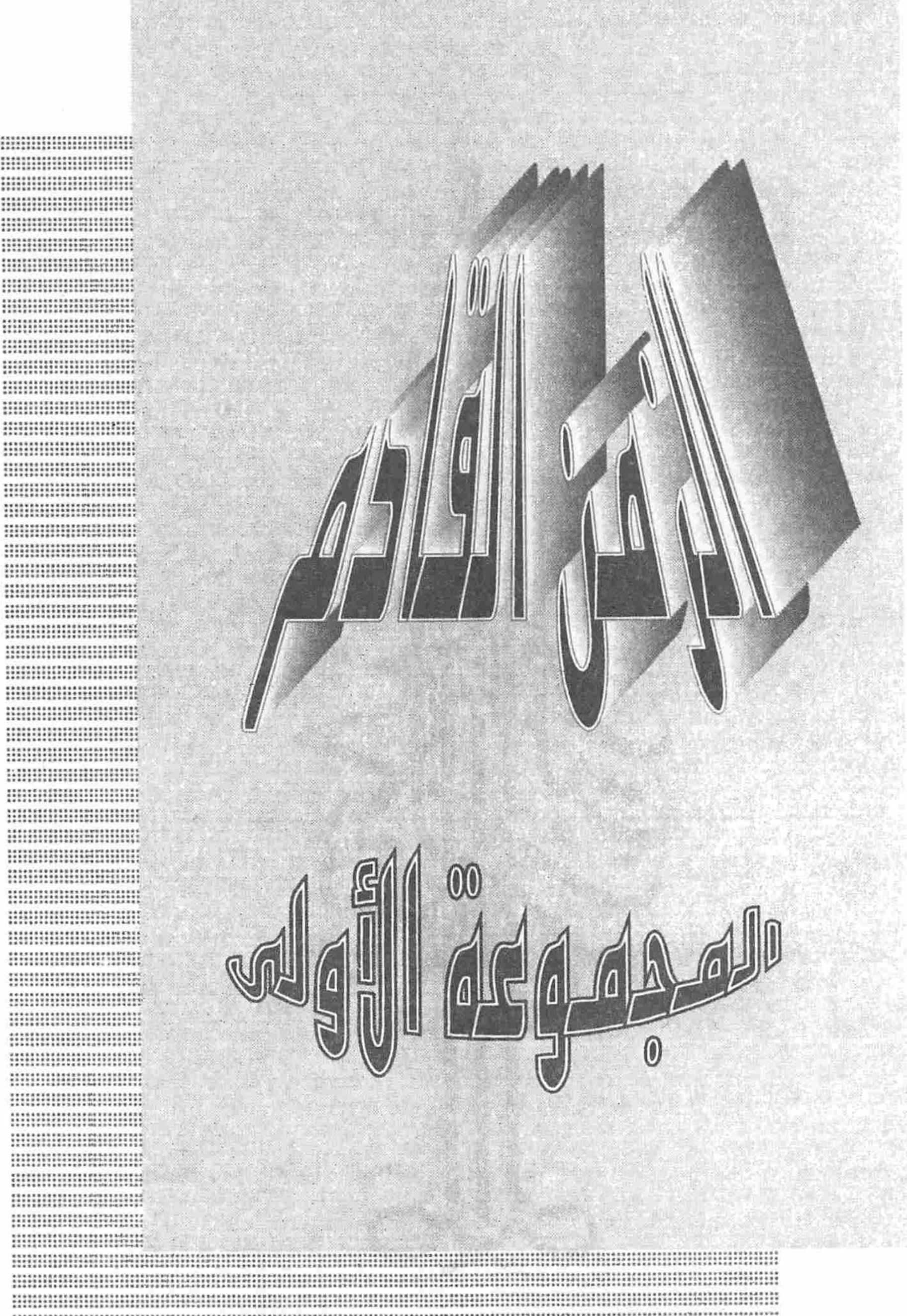
أ - العنوان

ديوي ٢١٣ ١٨/٢٠١٨

رقم الإيداع : ١٨/٢٠١٨
ردمك : ٦-٨٢-٠٣٣-٩٩٦٠

الصف والإخراج والمراجعة بدار القاسم للنشر

فروع دار القاسم للنشر
جدة - هاتف: ٦٠٢٠٠٠٠ - فاكس: ٦٣٣٣١٩١
الدمام - هاتف: ٨٤٣١٠٠٠ - فاكس: ٨٤١٣٠١١
بريدة - هاتف: ٣٢٦٢٨٨٨ - فاكس: ٣٦٩٢٨٨٨
خميس مشيط - هاتف: ٢٢٢٢٢٦١ - فاكس: ٢٢٢٣٠٥٠
www . dar - alqassem.com
sales @ dar - alqassem . com


الزمن القادم
المجموعة الأولى


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، والصلاة والسلام على معلم الناس الخير **وبعد**:

فإن الأدب الإسلامي مجال رحب وباب واسع، وعلى الرغم من الإنتاج الفكري والثقافي الهائل في هذا الزمن، إلا أن المتتبع للحركة الثقافية في العالم الإسلامي يلمح غياب الكثير من أغراض الأدب الإسلامي، ومن بينها القصة الهادفة.

ولذلك أحببت المشاركة بهذا الجهد المتواضع إسهامًا مني، ولو بالقليل من القصص الواقعية.

وهذه هي المجموعة الأولى بعنوان: «**الزمن القادم**».

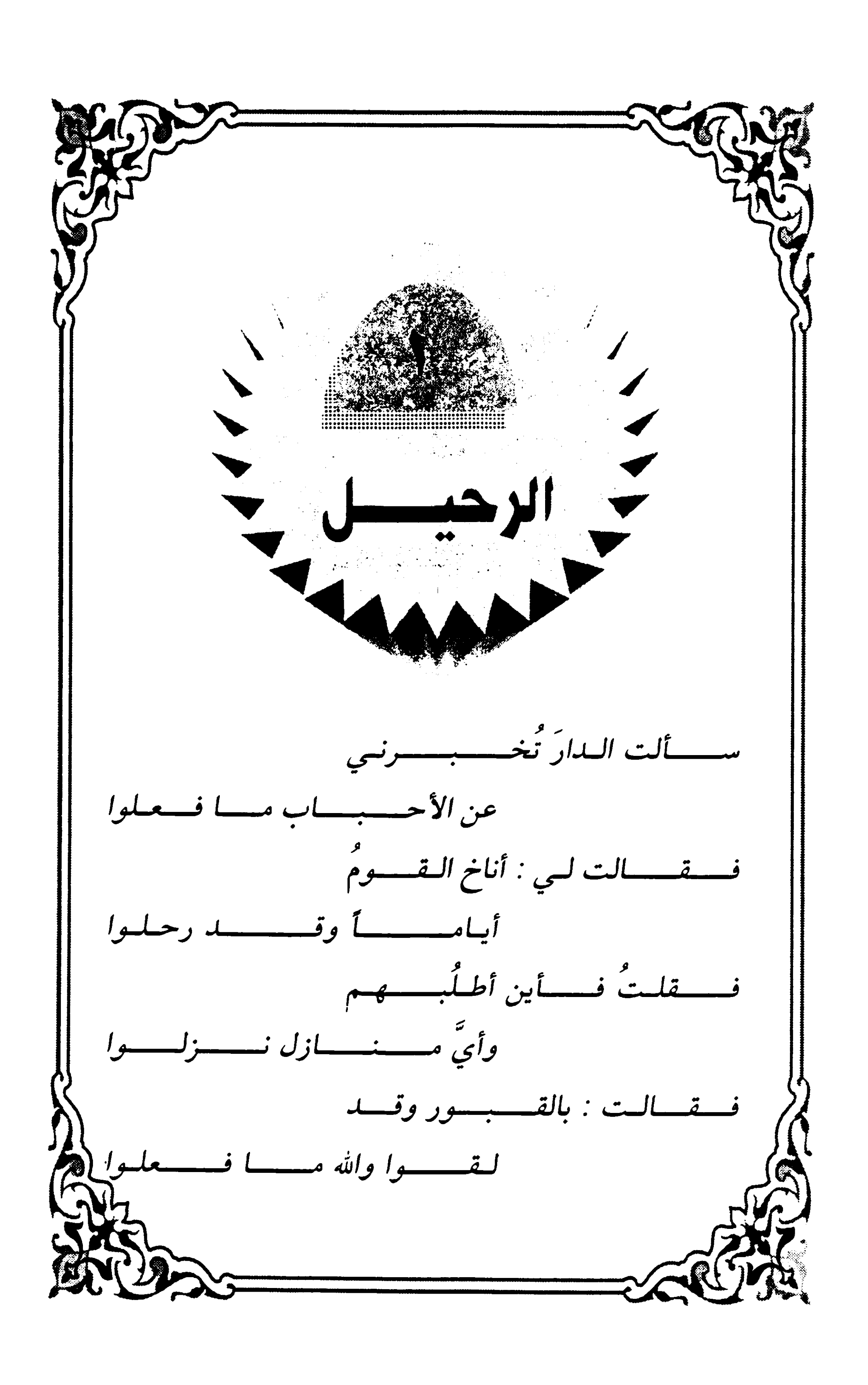
آملاً أن تجد لدى القارئ قبولاً واستحسانًا.

راجيًا من الله العون والتوفيق.

عبد الملك بن محمد القاسم

الرياض : ١١٤٤٢

ص . ب: ٦٣٧٣



الرحيـــــل

سـألت الـدارَ تُخـبـرنـي
عن الأحـبـاب مـا فـعلوا
فـقـالت لـي : أناخ الـقـومُ
أيامـاً وقـد رحلـوا
فـقلتُ فـأين أطـلُبـهم
وأيَّ مـنـازل نـزلـوا
فـقـالت : بالقـبـور وقـد
لـقـوا والله مـا فـعلوا

بدت أُختي شاحبة الوجه نحيلة الجسم.. ولكنها كعادتها تقرأ القرآن الكريم.. تبحث عنها تجدها في مصلاها.. راكعة ساجدة رافعة يديها إلى السماء.. هكذا في الصباح وفي المساء وفي جوف الليل لا تفتر ولا تمل..

كنت أحرص على قراءة المجلات الفنية والكتب ذات الطابع القصصي.. أشاهد الفيديو بكثرة لدرجة أنني عُرفتُ به.. ومن أكثر من شيء عُرِفَ به.. لا أؤدّي واجباتي كاملة، ولست منضبطة في صلواتي..

بعد أن أغلقت جهاز الفيديو وقد شاهدت أفلامًا متنوعة لمدة ثلاث ساعات متواصلة.. ها هو ذا الأذان يرتفع من المسجد المجاور..

عدت إلى فراشي..

تناديني من مصلاها.. نعم ماذا تريدين يا نورة؟

قالت لي بنبرة حادة: لا تنامي قبل أن تُصلي الفجر..

أوه.. بقي ساعة على صلاة الفجر وما سمعته كان الأذان الأول..

بنبرتها الحنون ـ هكذا هي حتى قبل أن يصيبها المرض الخبيث وتسقط طريحة الفراش.. نادتني.. تعالي يا هناء إلى جانبي..

لا أستطيع إطلاقًا رد طلبها.. تشعر بصفائها وصدقها..

لا شك طائعًا ستلبي..

نعم.. ماذا تريدين؟!

اجلسي..

ها قد جلست.. ماذا لديك..

بصوت عـذب رخيم: ﴿**كل نفس ذائـقـة الموت وإنما توفـون أجــوركم يوم القيامة**﴾..

سكتت برهة.. ثم سألتني..

ألم تؤمني بالموت؟..

بلى مؤمنة..

ألم تؤمني بأنك ستحاسبين على كل صغيرة وكبيرة؟!

بلى.. ولكن الله غفور رحيم.. والعمر طويل..

يا أختي.. ألا تخافين من الموت وبغتته؟!

انظري هندًا أصغر منك وتوفيت في حادث سيارة.. وفلانة.. وفلانة..

الموت لا يعرف العمر.. وليس مقياسًا له..

أجبتها بصوت خائف حيث مصلاها المُظلم..

إنني أخـاف من الظلام وأخفـتني من الموت.. كـيف أنام الآن ؟! كنت أظن أنكِ وافقت على السفر معنا هذه الإجازة!!

فجأة.. تحشرج صوتها واهتز قلبي..

لعلي هذه السنة أسافـر سفرًا بعيـدًا.. إلى مكان آخر.. ربما يا هناء.. الأعمار بيد الله.. وانفجرت بالبكاء..

تفكرت في مرضها الخبيث وأن الأطباء أخبروا أبي سرًا أن المرض ربما لن يمهلها طويلاً.. ولكن من أخبرها بذلك.. أم أنها تتوقع هذا الشيء؟

ما لك؟ بم تفكرين؟ جاءني صوتها القوى هذه المرة..!!

هل تعتقدين أني أقول هذا لأنني مريضة؟.

كلا.. ربما أكون أطول عمرًا من الأصحاء..

وأنت إلى متى ستعيشين؟! ربما عشرين سنة!! ربما أربعين.. ثم ماذا؟!

لمعت يدها في الظلام وهزتها بقوة..

لا فرق بيننا، كلنا سنرحل، وسنغادر هذه الدنيا إما إلى الجنة أو إلى نار.. ألم تسمعي قول الله **﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾** ؟

تصبحين على خير..

هرولتُ مسرعة وصوتها يطرق أذني. هداك الله.. لا تنسي الصلاة..

الثامنة صباحًا..

أسمعُ طرقًا على الباب.. هذا ليس موعد استيقاظي.. بكاء.. وأصوات.. ماذا جرى.. لقد تردّت حالة نورة.. وذهب بها أبي إلى المستشفى..

إنا لله وإنا إليه راجعون:

لا سفر هذه السنة، مكتوب عليَّ البقاء هذه السنة في بيتنا.. بعد انتظار طويل.. عند الواحدة ظهرًا هاتفنا أبي من المستشفى.. تستطيعون زيارتها الآن.. هيا بسرعة..

أخبرتني أمي أن حديث أبي غير مُطمئن وأن صوته متغير..

عباءتي في يدي..

أين السائق؟! ركبنا على عجل.. أين الطريق الذي كنت أذهب لأتمشي

مع السائق فيه يبدو قصيرًا. . ما له اليوم طويلاً. . وطويلاً جدًا؟!

أين ذلك الزحام المحبب إلى نفسي كي ألتفت يمنة ويسرة. . زحام أصبح قاتلاً ومملاً؟!

أمي بجواري تدعــو لها. . إنها بنت صــالحة ومطيعـة. . لم أرها تضيع وقتها أبدًا. . دلفنا من الباب الخارجي للمستشفى. .

هذا مريض يتأوه. . وهذا مصاب بحادث سيارة، وثالث عيناه غائرتان. . لا تدري هل هو من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة. .

منظر عجيب لم أره من قبل. .

صعدنا درجات السلم بسرعة. .

إنها في غرفـة العناية المركزة. . وسآخذكم إليهــا. . ثم واصلت الممرضة إنها بنت طيبة وطمأنت أمي إنها في تحسن بعد الغيبوبة التى حصلت لها. .

- ممنوع الدخول لأكثر من شخص واحد. .

هذه هي غرفة العناية المركزة. .

وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصـغيرة التي في باب الغرفة أرى عيني أختي نورة تنظر إليَّ، وأمي واقفة بجوارها. . بعــد دقيقتين خرجت أمي التي لم تستطع إخفاء دموعها. .

سمحوا لي بالدخــول والسلام عليها بشرط أن لا أتحدث معهــا كثيرًا. . دقيقتان كافيتان لك. .

- كيف حالك يا نورة؟

لقد كنت بخير مساء البارحة. . ماذا جرى لك؟!

أجابتني بعد أن ضغطت على يدي: وأنا الآن ولله الحمد بخير..

الحمد لله.. ولكن يدك باردة..

كنت جالسة على حافة السرير ولامست ساقها.. أبعدته عني.. آسفة إذا ضايقتك.. كلا ولكني تفكرت في قول الله تعالى: ﴿والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق﴾ عليك يا هناء بالدعاء لي فربما أستقبل عن قريب أول أيام الآخرة..

سفري بعيد وزادي قليل.

سقطت دمعة من عيني بعد أن سمعت ما قالت وبكيت.. لم أعِ أين أنا؟!

استمرت عيناي فى البكاء.. أصبح أبي خائفًا عليّ أكثر من نورة.. لم يتعودوا هذا البكاء والانطواء في غرفتي..

* مع غروب شمس ذلك اليوم الحزين..

ساد صمت طويل في بيتنا..

دخلت عليَّ ابنة خالتى.. ابنة عمتي..

أحداث سريعة..

كثر القادمون.. اختلطت الأصوات.. شيء واحد عرفته..

نورة ماتت.

لم أعد أميز من جاء.. ولا أعرف ماذا قالوا..

يا الله.. أين أنا؟ وماذا يجري؟ عجزت حتى عن البكاء.. فيما بعد أخبروني أن أبي أخذ بيدي لوداع أختي الوداع الأخير..

وأني قبَّلتها.. لم أعد أتذكر إلا شيئًا واحدًا.. حين نظرت إليها

مسـجاة.. على فراش الموت.. تذكرت قـولها **﴿والتفت السـاق بالساق﴾** عرفت حقيقة أن **﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾**.

لم أعرف أنني عدت إلى مصلاها إلا تلك الليلة..

وحينهـا تذكرت من قاسـمتني رحم أمي، فنحن توأمـان.. تذكرت من شاركتني همـومـي.. تذكـرت من نَفَّـسـت عني كـربتـي.. من دعت لى بالهـداية.. من ذرفت دمـوعهـا ليـالي طويلـة وهي تحـدثنـي عن الموت والحساب..

الله المستـعان.. هذه أول ليلة لها في قـبرها.. اللهم ارحمهـا ونوِّر لها قبرها.. هذا هو مصحفها.. وهذه سجادتها.. وهذا.. وهذا..

بل هذا هو الفستان الوردي الذي قالت لي سأخبئه لزواجي..

تذكرتها وبكيت على أيامي الضائعـة.. بكيت بكاء متواصلاً.. ودعوت الله أن يرحمني ويتوب عليّ ويعفو عني.. دعرت الله أن يثبتها في قبرها كما كانت تحب أن تدعو..

* فجأة سألت نفسي ماذا لو كانت الميتة أنا؟ ما مصيري..؟

لم أبحث عن الإجابة من الخوف الذي أصابني.. بكيت بحرقة..

الله أكبر.. الله أكبر.. ها هو ذا أذان الفجر قد ارتفع.. ولكن ما أعذبه هذه المرة..

أحسست بطمأنينة وراحة وأنا أردد ما يقوله المؤذن.. لفلفت ردائي وقمت واقفة أصلي صلاة الفجر.. صليت صلاة مودع..

كما صلتها أختي من قبل، وكانت آخر صلاة لها..

إذا أصبحتُ لا أنتظرُ المساء..

وإذا أمسيتُ لا أنتظرُ الصباح..



٢ الغفلة

شيع الحسن جنازة فجلس على شفير القبر فقال:

إن أمرًا هذا آخره أن يُزهد في أولهِ[١] وإن أمرًا هذا أوله لحقيق أن يُخاف آخرهُ[٢]..

(١) يعني الدنيا..

(٢) يعني القبر.

اللهم ارحـمنا إذا دَرَسْ قـبرنا.. ونُسي اسـمنا.. وانقطع ذكـرنا.. فلم يذكرنا ذاكر. ولم يزرنا زائر..

اللهم ارحـمنا إذا غـسلنا أهلونا.. الـلهم ارحـمنا إذا كـفنونا.. اللهم ارحمنا إذا على أكتافهم حملونا....

كان الشريط يسير بسرعة.. وكنت أتابع دعاء الإمام بتركيز ولهفة.

أعـدتُ هذا الدعاء.. مـرة.. وأخرى.. كل مـا قاله ودعـا به حق.. ستنقطع بنا الحياة.. وسنُغسل.. ونُكفـن.. ثم نوضع فى لحد تحت الأرض.. ويُنسى اسمنا...

ولكن ذاك الصـوت المقترن بـالخشوع.. جـعلني أتوقف برهة.. وأعـيد الشريط مرة ثالثة..

لقد كانت أختي.. مثال الأخت الداعية.. المجتهدة..

لقد حاولت أن أكون محافظًا على الصلاة.. وعلى الطاعات.. حاولت بكل ما تستطيع.. بالكلمة.. وبالشريط.. والكتاب..

* وفي أحـد الأيام.. عندمـا ركـبت مـعـي في السـيارة.. أخـذ بنا الحـديث.. وعندمـا همـمنا بالنزول.. وضـعت هذا الشـريط في جـهـاز التسجيل.

خرجـتُ من الغد.. بحـركة عـفوية.. لا شـعورية.. ضـغطت على الشريط.. وأنا لا أذكر ما فيـه.. ولكني كالعادة أتوقع.. كلمة مغناة.. من التي أحبها.. ولكن شاء الله أن يكون هذا الشريط..

سمعته في صباح ذاك اليوم.. وأعدته في المساء.. وبعد العشاء..

سألتها ما هذا الشريط الذي وضعته..؟

قالت.. هل أعجبك!؟

قلت لها.. لا شك..

ولم تكن العادة إجابتي بهذا الترحيب..

فرِحَت.. وكان بيدها كتاب فوضعته جانبًا.. أعادت سؤالها..

هل أعجبك صوت الإمام وقراءته..؟

قلت لها.. نعم..

كانت هذه الإجابة مقدمة لحوار طويل.. ولقد كان مثل هذا الحوار متكررًا.. ولكنه هذه المرة اختلف كثيرًا.

في النهاية.. قالت لي..

سأقرأ عليك ما قرأته قبل قليل.

مر الحسن البصري بشاب مستغرق في ضحكه وهو جالس مع قوم في مجلس.. فقال له الحسن:

يا فتى..هل مررت على الصراط؟..

قال: لا..

قال: فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار..؟

قال: لا..

قال: فما هذا الضحك؟!

صمتنا برهة..

ثم التفتت إليّ.. وقالت..

إلى متى هذه الغفلة؟!



٣

الهديـــة

قال عمرو بن قيس:

إذا بلغك شيء من الخيـر فاعمـل به ولو مرة تكن من أهله..

أنهيتُ دراستي في المعهد الصحي بعد مشقة.. فلم أكن منضبطًا في دارستي ولكن الله سبحانه وتعالى يسر لي التخرج..

عينت في أحد المستشفيات القريبة من مدينتي..

الحمد لله أموري مُيسرة.. وأعيش بين والديّ.

قررت أن أجمع مهرًا لزوجتي.. وهو ما تحثني عليه والدتي كل يوم..

كان العمل يسير بشكل جدّي ومرتب.. خاصة أن عملي في مستشفى عسكري.. كنت أحب الحركة لذلك نجحت في عملي نجاحًا طيبًا..مقارنة بدراستي النظرية المُملّة..

المستشفى يضم موظفين من مختلف الجنسيات تقريبًا.. وكانت علاقتي بهم علاقة عمل.. كما أنهم كانوا يستفيدون من وجودي معهم كابن للبلد.. فأنا دليلهم للمناطق الأثرية..والأسواق.. كما أنني كنت أذهب ببعضهم إلى مزرعتنا.. وكانت علاقتي بهم قوية.. وكالعادة.. عند نهاية عقد أحد الموظفين.. كنا نقوم بعمل حفلة توديع له..

وفي أحد الأيام قرر أحد الأطباء البريطانيين السفر إلى بلاده لانتهاء مدة عمله معنا..

تشاورنا في إقامة حفل وداع له.. وكان المكان المحدد هو مزرعتنا.. تم الترتيب بشكل عام.. ولكن كان يأخذ جل تفكيري..

ما هي الهدية التى سأقدمها له؟! وبخاصة أنني عملت ملازمًا له لفترة طويلة.. وجدت الهدية القيمة والمناسبة في نفس الوقت.. هذا الطبيب يهوى جمع القطع التراثية..

وبدون تعب ولا مشقة.. والدي لديه الكثير من هذه القطع.. فكان أن سألته.. وأخذت منه قطعة تراثيــة من صنع المنطقة قديمًا.. وكان ابن عم لي حاضرًا الحوار مع والدي..

وأضاف: لماذا لا تأخذ له هدية كتابًا عن الإسلام..

أخذت القطعة التراثية.. ولم آخــذ كلام ابن عمي على محمل الجد.. إلا أن الله يسر لي الأمر بدون بذل جهــد.. ذهبت من الغد لشراء الصحف والمجلات من المكتبة.. فوجدت كتابًا عن الإسلام باللغة الإنجليزية.

عادت كلمات ابن عمي ترن في أذنــي.. راودتني فكرة شرائه خاصة أن سعــره زهيد جــدًا.. أخذت الكتــاب.. وفي يوم الاحتــفال بتوديع زمــيلنا وضعت الكتاب وسط القطعة التراثية وكــأني أخبئه.. قدمت هديتي.. وكان وداعًا مؤثرًا.. فهذا الطبيب محبوب من جميع العاملين..

ســافر صــاحبــنا.. مرت الأيام والشــهــور سريعــة.. تزوجت ورزقت طفلاً..

* ذات يوم وصلتني رسالة من بريطانيا.. قرأتها بتمهل فقد كانت باللغة الإنجليزية.. مبدئيًا فهمت بعض محــتوياتها.. والبعض لم أفهمه.. وعرفت أنها من صــديق قديم طالما عمل مــعنا ولكنني رجعت إلى ذاكرتي.. اســمه أول مرة أسمعه.. بل وغريب على سمعي (ضيف الله) هذا هو اسمه..

أغلقت الرســالة أحــاول أن أتذكر صــديقًــا اسمــه (ضــيف الله) ولكنني عجزت عن تذكر شخص بهذا الاسم سوى اســمي.. فتحت الرسالة قرأتها مــرة أخرى.. بهــدوء انسابت الحــروف ببــساطة وســهولة.. هذا جــزء من رسالته..

الأخ الكريم ضيف الله..

السلام عليكم ورحـمة الله وبركاته.. لقد يسـر الله لي الإسلام وهداني على يديك.. فلن أنسى صـداقتك معي.. وسـأدعو لك.. أتذكـر الكتاب الذي أهديتني إياه عند سـفري.. لقـد قرأته ذات يوم وزادت لهـفتي لمعـرفة الكثـير عن الإسـلام.. ومن توفيق الله لي أنني وجـدت على غلافـه عنوان ناشري الكـتاب. فأرسلت إليـهم أطلب المزيد.. فأرسلوا لي مـا طلبت.. والحمد الله شع نور الإسلام في قلبي.. وذهبـت للمركز الإسلامي وأعلنت إسلامي.. وغيرت اسمي من چون إلى (ضيف الله) أي إلى اسمك.. لأنك صاحـب الفضل بعـد الله.. كما أنـني أرفق لك صورة من شـهادة إشـهار إسلامي.. وسأحاول القدوم إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج..

أخوك في الإسلام.. ضيف الله..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أغلقت الرسالة.. بسرعة أعدت فتحها.. بدأت أقرؤها من جديد..

هزتني الرسـالة بقـوة.. لأنني أشـعـر بالصـدق فـي كل حـرف من حروفهـا.. بكيت كثيرًا.. كيف أن الله هـدى رجلاً إلى الإسلام على يدي وأنا مقصر في حقه.. كتاب لا يساوي خمسة ريالات يهدي به الله رجلاً..

أصابني حزن.. وفرح.

فرحت أن الله هداه للإسلام بدون جهد مـني.. وحزنت كثيرًا.. لأنني سـألت نفـسي أين أنا الفـتـرة الماضيـة عن العـاملين مـعي ؟! لم أدعُـهم للإسلام.. لم أُعرفـهم بهذا الدين.. ولا كلمة عن الإسلام تـشهد لي يوم القيامة..

لقد حادثتهم كثيرًا.. مازحتهم كثيرًا.. ولكنني لم أحدثهم عن الإسلام

لا قليلاً ولا كثيراً.

هدى الله ضيف الله للإسلام.. وهداني إلى محاسبة نفسي وتقصيري في طاعته.. لن أحقر من المعروف شيئًا ولو كتابًا بريال واحد فقط..

فكرت قليلاً لو أن كل مسلم أهدى من هم حوله كتابًا واحدًا فقط.. ماذا يكون ؟!

لكنني صدمت مرة أخرى.. من هول ما قرأت..

* بعض الحقائق عن أفريقيا تقول..

- تم جمع مبلغ ١٣٩ ألف مليون دولار أمريكي في أمريكا لأغراض الكنيسة.

- تم تجنيد ٣٩٦٨١٠٠ مُنصر خلال نفس السنة.

- وُزّع من الإنجيل ١١٢٥٦٤٤٠٠ نسخة..

- بلغ عدد محطات الإذاعة والتلفزيون النصرانية ١٦٢٠ محطة..

تساءلت.. أين نحن ؟!

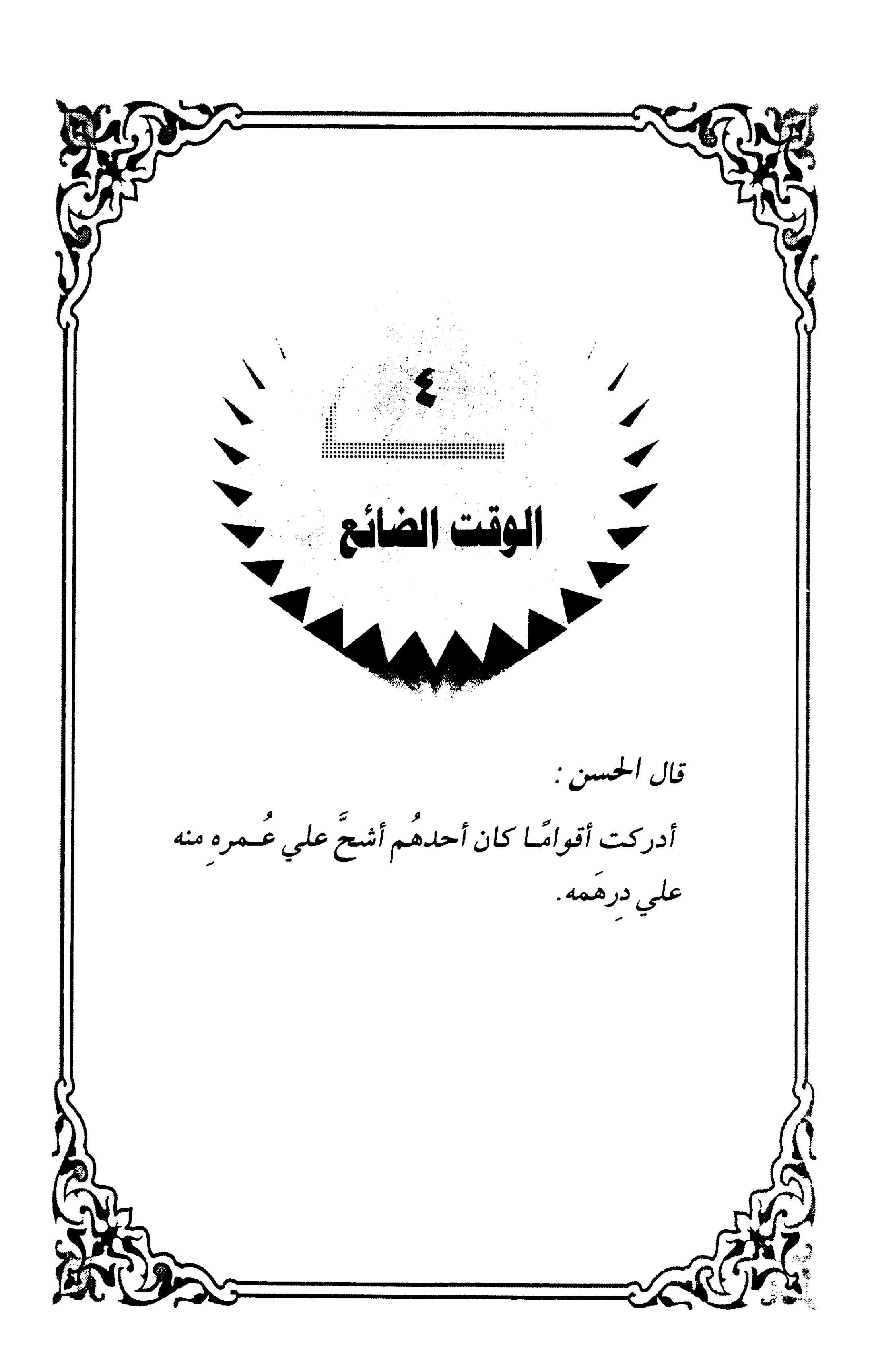
على أقل الأحوال..

- كم سائق لدينا غير مسلم؟! وكم خادمة لدينا غير مسلمة؟!

كم.. وكم.. ألمٌ تسبقه دمعة.. ولكن يبقى السؤال..

أين العمل؟!

أين العمل؟!



قال الحسن :

أدركت أقوامًا كان أحدهُم أشحَّ علي عُمرهِ منه علي دِرهَمه.

طفلي الصغير منذ مساء أمس وصحته ليست على ما يرام. . وعندما عدت مساء هذا اليوم من عملي قررت الذهاب به إلى المستشفى. . رغم التعب والإرهاق إلا أن التعب لأجله راحة.

حملته وذهبت. . لقد كان المنتظرون كثيرين. . ربما نتأخر أكثر من ساعة. . أخذت رقمًا للدخول على الطبيب وتوجهت للجلوس في غرفة الانتظار. .

وجوه كثيرة مختلفة. . فيهم الصغير وفيهم الكبير. . الصمت يخيم على الجميع. . يوجد عدد من الكتيبات الصغيرة استأثر بها بعض الإخوة.

أجلت طرفي في الحاضرين. . البعض مغمض العينين لا تعرف فيم يفكر. . وآخر يتابع نظرات الجميع. . والكثير تحس على وجوههم القلق والملل من الانتظار.

يقطع السكون الطويل. . صوت المُنادي. . برقم كذا. . الفرحة على وجه المُنادَى عليه. . يسير بخطوات سريعة. . ثم يعود الصمت للجميع.

* لفت نظري شاب في مقتبل العمر. . لا يعنيه أي شيء حوله. . لقد كان معه مصحف جيب صغير. . يقرأ فيه. . لا يرفع طرفه. . نظرت إليه ولم أفكر في حاله كثيرًا. . لكنني عندما طال انتظاري عن ساعة كاملة تحول مجرد نظري إليه إلى تفكير عميق في أسلوب حياته ومحافظته على الوقت.

ساعة كاملة من عمري ماذا استفدت منها وأنا فارغ بلا عمل ولا شغل. بل انتظار ممل.

أذن المؤذن لصلاة المغرب.. ذهبنا للصلاة.

في مصلى المستشفى.. حاولت أن أكون بجوار صاحب المصحف.. وبعد أن أتممنا الصلاة سرت معه وأخبرته مباشرة بإعجابي به من محافظته على وقته.

وكان حديثه يتركز على كثرة الأوقات التي لا نستفيد منها إطلاقًا وهي أيام وليالٍ تنقضي من أعمارنا دون أن نحس أو نندم..

قال.. إنه أخذ مصحف الجيب هذا منذ سنة واحدة فقط عندما حثّه صديق له بالمحافظة على الوقت.

وأخبرني.. أنه يقرأ في الأوقات التي لا يستفاد منها كثيرًا أضعاف ما يقرأ في المسجد أو في المنزل.. بل إن قراءته في المصحف زيادة على الأجر والمثوبة إن شاء الله تقطع عليه الملل والتوتر.. وأضاف محدّثي قائلاً.. إنه الآن في مكان الانتظار منذ ما يزيد على الساعة والنصف..

وسألني..

متى ستجد ساعة ونصف لتقرأ فيها القرآن..

تأملت.. كم من الأوقات تذهب سدى؟! وكم لحظة في حياتك تمر ولا تحسب لها حساب؟!

بل كم من شهر يمر عليك ولا تقرأ القرآن؟!

أجلت ناظرى.. وجدت أني محاسب والزمن ليس بيدي..

فماذا أنتظر؟

قطع تفكيري صوت المُنَادي.. ذهبت إلى الطبيب.

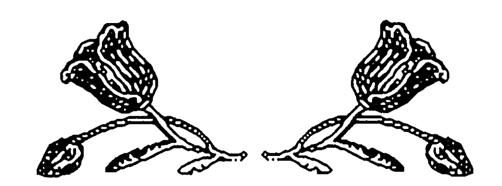
أريد أن أحقق شيئًا الآن.

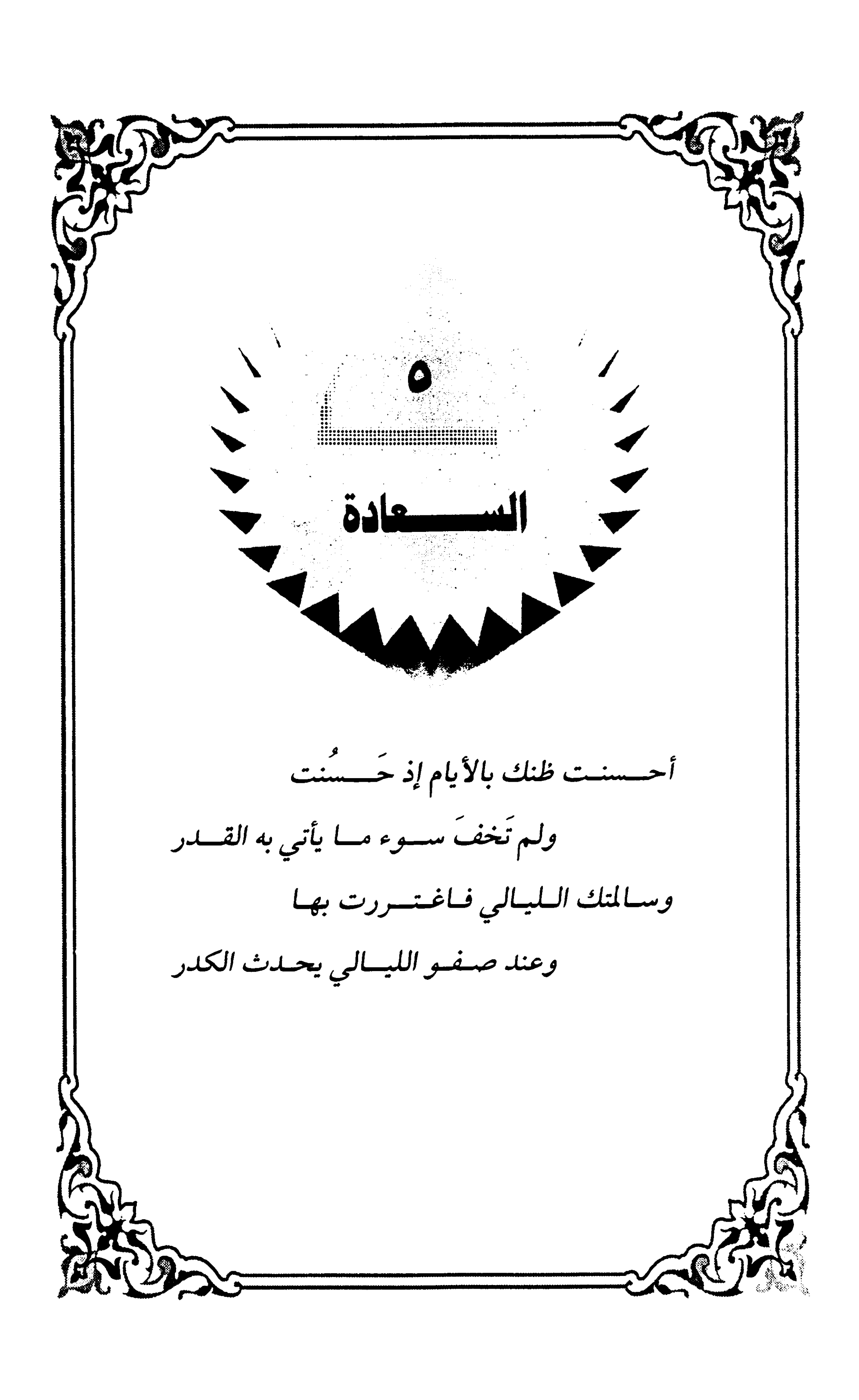
بعد أن خرجت من المستشفى.. أسرعت إلى المكتبة.. اشتريت مصحفًا صغيرًا..

قررت أن أحافظ على وقتي.. فكرت وأنا أضع المصحف في جيبي.

كم من شخص سيفعل ذلك..

وكم من الأجر العظيم يكون للدال على ذلك؟!.





٥

الســعادة

أحسنت ظنك بالأيام إذ حَسُنت
ولم تَخفَ سوء ما يأتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفو الليالي يحدث الكدر

بعد أن أكملتُ دراستي الثانوية.. تقدمت بأوراقي للالتحاق بالجامعة.

ولكن كان هناك أمر جديد.

فقد تقدم لخطبتي شاب يدرس في أمريكا.. وتمت الموافقة.

لا بد من السفر إلى بلاد الغربة.. فرحت بذلك فرحًا عظيمًا.. سأعيش في أمريكا.

جُلَّ ما يؤرقني.. كيف بهذه السرعة تنازل عني أهلي بل كيف وافقوا على الغربة الطويلة خاصة أنهم لا يعرفون الرجل من قبل.. وأنا لا أزال في هذه السن..

تمتعت بشهر العسل كما يقولون.. واستقريت في منزلنا الجميل في أمريكا.

مرت الأيام حلوة وجميلة.. شاهدت معظم المناطق في أمريكا.. كان زوجي يحرص على أن أشاهد كل شيء..

وحتى يكون لدي ثقافة عن كل شيء..

لكن أيام الصفاء لم تدُم طويلاً.. كنا حسب تصوري الآن.. في مرحلة مراهقة عقلية.. فقد بدأت حركة المد والجزر في حياتنا.

كنا مهملين في كل شيء حتى في أداء الصلاة.. الشيء الوحيد الذي كنا نحرص عليه.. أن يكون لدينا ثقافة عن كل شيء..

وامتدادًا لفترة خلافنا.. يقضي معظم وقته خارج المنزل.. خاصة في الليل.

لم نرزق خلال تلـك السنوات الثلاث بمولود. . ولعل هذا سـاعد على اتساع حـدة الخلاف بيننا. . أصبـحنا نصل أحيـانًا إلى حافة النهـاية. . نهاية حياتنا الزوجية. .

استمرت هذه الحالة.

وعندما عدنا لزيارة الوطن. لاحظ أهلي الضعف والإرهاق عليّ.

قررت أن أصارح والدتي بكل شيء. .

بدورها نقلت الصورة كاملة إلى والدي.

أخذني أبي جـانبًا. . سألني أسـئلة كثيرة دقـيقة كلهـا تدور حول زوجي ومعاملته لي. .

وأخيرًا مدى استقامتهُ.

بعد مهلة منحني إياها والدي للتفكير. . طلبت الطلاق. .

كنت أتوقع أن يكون الأمر سهلاً. . خـاصة أننا اتفقنا على الطلاق مرات عديدة في أمريكا ولكن زوجي رفض الطلاق إلا بشروط كثيرة.

من أبسطها. . رد المهر كاملاً. . وبعـد أخذ ورد. . انتهت الأيام المزعجة ومما زاد كراهيتي له. . طلباته عند الطلاق. . على الرغم من أنني ساندته في دراسته. . ودفعت له من مبالغ كـانت معي بل إن مرتبي كاملاً ثلاث سنوات كان بيده. .

على أية حال دُفع له ما أراد. . ودُفع لي ما أردت. .

عدت لحياتي القديمة. . وكأن ما مر بي حُلم. . أو كابوس مزعج.

❊ مع بداية العام الدراسي الجامعي. .

لملمت أوراقي وشهادتي القديمة.. تقدمت إلى الجامعة.. وأبديت رغبة في الانضمام إلى قسم اللغة الإنجليزية.. وذلك لإجادتي لها من خلال السنوات التى عشتها في الغربة..

ولكن شاء الله أن أقابل إحدى زميلاتي فى المرحلة الثانوية.. بعد السلام الحار.. والسؤال الطويل.. أخبرتها أنني أحمل أوراقي للانضمام إلى قسم اللغة الإنجليزية.

زميلتي لم يبق على تخرجها سوى عام دراسي واحد.. وتدرس في قسم الدراسات الإسلامية.

ومن خلال وقفتنا السريعة استطاعت أن تقنعني بالانضام إلى قسم الدراسات الإسلامية..

فهناك.. كما ذكرت لي المعلومات التي ستستفيدين منها.. كما أنك ستتعرفين على جميع طالبات القسم بحكم معرفتي لهن.. وهناك ما يرضيك من النشاطات اللامنهجية.. من محاضرات وندوات.

وهذا الجانب اللامنهجي.. أعادني إلى مرحلة الطفولة حيث كنت أحب تلك النشاطات.

واتكلت على الله كما قالت لي.. لا ترددي.

بسرعة كبيرة لم أكن أتوقعها.. أصبحت عضوة نشطة في هذا القسم.. أصبحت أشارك في إعداد الندوات وفي ترتيبها.. كما أن المجموعة التي كنت معها يطغى عليها جانب المرح.. وهذا ما فقدته منذ ثلاث سنوات.

رجعت لي صحتى.. وعادت الحياة تدب في عيني.. كما يحلو لأمي

أن تقوله لي.

* لا وقت فراغ لدي كما يقال.

فأنا أعد بحثًا.. أو أراجع مقرراتي الدراسية.. وأحيانًا أقوم بالتحضير لإلقاء محاضرة على زميلاتي لمدة عشر دقائق..

أصبحت لدي همة كبيرة وعزيمة صادقة.. المجتمع الذى أعيش فيه جعلني لا أنسى الفريضة.. بل تعداه إلى التطوع في النوافل من صلاة وصيام.. حمدت الله أن يسر لي الدخول إلى هذا القسم.. حيث الرفقة الصالحة.

قررت مع مجموعة من زميلاتي.. أن نحفظ القرآن..

كان قرارًا بالنسبة لي.. يعني أنني مُقبلة على مرحلة جديدة..

بدأنا في حفظ القرآن.. كنت متخوفة في البداية أنني لن أستمر.. ولكن الله يسر لي الاستمرار وأعانني على الحفظ بدون مشقة.. كما أنني بدأت أستدرك ما فاتني فقررت التركيز على كتب العقيدة والفقه..

سبحان الله! عندما سافرت لأمريكا كنت أعتقد أنني في قمة السعادة.. ولكنني عرفت أن البعد عن الله ليس فيه سعادة مطلقة.. وإن كان شكل السعادة يلوح.

امتد نشاطي إلى بيتنا.. بدأت أختي تحفظ القرآن معي.. خصصتُ جزءًا من وقتي لكي أقرأ على والدتى ما يفيدها خاصة الأحكام المتعلقة بالنساء.. الحمد الله كثرت وتنوعت الأشرطة الإسلامية فى بيتنا.. لا أذهب لزيارة أحد إلا ومعي مجموعة منها على شكل هدية. لم أُضِع مناسبة دون فائدة.

تغيرت حــياتي تمامًا. . أنظر إلى الدنيا بمنظــار جديـ. . وأنها دار ممر. . وليست دار مقر.

لم يكدر صفو حياتي. . ســوى أن زوجي السابق عاد من أمريكا بعد أن أنهى دراسته.

زارتنا والدته تطلب الصفح ونسيان الماضى والعودة إلى زوجي السابق. . قبلت رأسها وقلت لها. . إنني نسـيت الماضى كله وعفوت رجاء أن يعفو الله عني. .

رفَضتُ طلبهــا ولكنني ودعتها ولـم أنس أن أرسل لــه هدية. . عبارة عن مجموعــة من الأشرطة والكتب تحث على التوبة ومحاسبــة النفس. . غير ما ذكرت لا وقت لدي سوى التفرغ الكامل لدراستي. .

نسيت أن أذكر لكم أنه تقدم لخطبتي الكثير. . كان أهمهم بالنسبة لي أخ لإحدى زميلاتي. .

ترددت وأخــبــرتها أنــني عاهدت الله أن لا أتزوج حــتى أحــفظ القــرآن كاملاً. .

وحاولت أن تقنعني. . لكن أخبرتهــا أن هذه هي آخر سنة دراسية لنا في الجامعة. .

وكذلك آخر سنة لأكمل حفظ القرآن. .

سكتت ولم ترد عليّ. .

بعد عــام دراسي كامل. . أنهيت دراســتي الجامعــية. . كنت أطمح لأن أعمل معيدة في الجامعة. . ولكن شاء الله غير ذلك. .

عُينــتُ في مدرسة قــريبة من منزلــنا. . واستمــر نشاطي اللامنــهجي. .

فوضعت جدولاً للمحاضرات تعده الطالبات.. كما أنى جعلت هناك نشاطًا لحفظ القرآن.

سارت الأمور في المدرسة بشكل مفرح.. كأننا أسرة واحدة..

* وفي مساء ذلك اليوم..

زارتني زميلتي وأخـبرتني.. أنني وعـدتها بالزواج بعد حـفظ القرآن.. وقالت : الآن لا عذر لديك..

وافقت.. وتم كل شيء حسب السُّـنَّة.. لا إسراف.. ولا تبذير.. ولا حفلات..

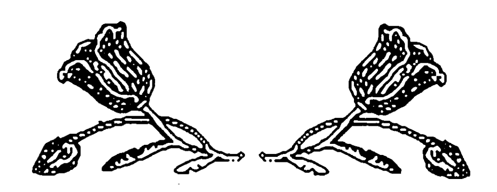
نِعم الرجل.. خُلق.. ودِين.. وقيامُ ليل..

لا تسألوني كيف عشت معه.. كأننا ننتظر بعضنا طوال هذه السنين..

قـال لي.. إن الذي جعـله يصر على خـطبتي هو حـرصي على حـفظ القرآن..

الحمـد لله مغيـر الأحوال.. من أمـريكا وثقافة كـل شيء.. إلى حفظ القرآن..

الحمد لله الذي أدركتني رحمته قبل الفوات..





إنذار

تُروعُنا الجنائزُ مقبلات

ونلهو حين تذهَبُ مدبرات

كروعة ثلةٍ لمغار ذئبٍ

فلما غاب عادت راتعات

عشتُ مرحلتي الدراسية الأولى مع والدي.. في بيئة صالحة أسمع دعاء أمي وأنا عائد من سهري آخر الليل.

يتردد على مسامعي صوت أبي في صلاته الطويلة.. التي طالما كنت أقف متعجبًا من طولها.. خاصة عندما يحلو النوم أيام الشتاء البارد..

أتعجب في نفسى وأقول.. ما أصبره.. كل يوم هكذا.. شيء عجيب!!

لم أكن أعرف أن هذه هي راحة المؤمن وأن هذه هي صلاة الأخيار. يهبُون فرشهم لمناجاة الله..

بعد المرحلة التى قطعتها في دراستي العسكرية.. ها قد كبرت وكبر معي بعدي عن الله..

على الرغم من النصائح التي أسمعها وتَطرقُ مسامعي بين الحين والآخر..

عُينت بعد تخرجي في مدينة غير مدينتي وتبعد عنها مسافة بعيدة.. ولكن معرفتي الأولى بزملائي فى العمل خففت ألم الغربة على نفسي..

انقطع عن مسامعي صوت القرآن.. انقطع صوت أمي التي توقظني للصلاة وتحثني عليها.. أصبحت أعيش وحيدًا بعيدًا عن الجو الأسري الذي عشته من قبل..

تم توجيهي للعمل في مراقبة الطرق السريعة.. وأطراف المدينة للمحافظة

على الأمن ومراقبة السـير ومساعدة المحتاجين. . كان عملـي متجددًا وعشت مرتاحًـا. . أؤدي عملي بجـد وإخلاص. . ولكني عشت مـرحلة متـلاطمة الأمواج. . تتقاذفني الحيرة في كل اتجاه لكثرة فراغي وقلة معارفي.

بدأت أشعـر بالملل. . ولم أجد من يعـينني على ديني. . بل العكس هو الصحيح. .

من المشاهد المتكررة في حياتي العملية الحوادث والمصابين. .

ولكن كان يوم مميز. .

في أثناء عملنا توقفت أنا وزميلي على جانب الطريق. . نتجاذب أطراف الحديث.

فجأة سمعنا صوت ارتطام قوي. .

أدرنا أبصارنا. . فـإذا بها سيـارة مرتطمة بسـيارة أخرى كانت قـادمة من الاتجاه المقابل. . هببنا مسرعين لمكان الحادث لإنقاذ المصابين. .

حـادث لا يكاد يوصف. . شخـصان في الـسيـارة في حالة خطيـرة. . أخرجناهما من السيارة. . ووضعناهما ممددين. .

أسرعنا لإخراج صاحب السيارة الثانية. . الذي وجدناه قد فارق الحياة. . عدنا للشخصين فإذا هما في حال الاحتضار. .

هب زميلي يلقنهما الشهادة. .

قولا : لا إله إلا الله. . لا إله إلا الله. .

لكن لسانيـهما ارتـفعت بالغناء. . أرهبنى الموقف. . وكـان زميلي على

عكسي يعرف أحوال الموت.. أخذ يعيد عليهما الشهادة..

وقفت منصتًا.. لم أحرك ساكنًا.. شاخص العينين أنظر.. لم أر في حياتي موقفًا كهذا.. بل قل لم أر الموت من قبل وبهذه الصورة.. أخذ زميلي يردد عليهما كلمة الشهادة.. وهما مستمران في الغناء..

لا فائدة..

بدأ صوت الغناء يخف شيئًا فشيئًا.. سكت الأول وتبعه الثاني.. لا حراك..

* فارقا الدنيا.

حملناهما إلى السيارة.. وزميلي مطرق لا ينبس ببنت شفه.. سرنا مسافة قطعها الصمت المطبق..

مزق هذا السكون صوت زميلي.. فذكر لي حال الموت وسوء الخاتمة.. وإن الإنسان يختم له إما بخير أو بشر.. وهذا الختام دلالة لما كان يعمله الإنسان في الدنيا غالبًا.

وذكر لي القصص الكثيرة التي رويت في الكتب الإسلامية.. وكيف يختم للمرء على ما كان عليه بحسب ظاهره وباطنه..

قطعنا الطريق إلى المستشفى في الحديث عن الموت والأموات.. وتكتمل الصورة عندما أتذكر أننا نحمل أمواتًا بجورانا..

خفت من الموت واتعظت من الحادثة.. وصليت ذلك اليوم صلاة خاشعة..

ولكن مع مرور الأيام نسيت هذا الموقف بالتدريج..

بدأت أعـود إلى ما كنت عـليه.. وكـأني لم أشـاهد الرجلين وما كـان منهما.. ولكن للحقـيقة أصبحت لا أحب الأغاني ولا أتلهف عليـها كسابق عهدي.. ولعل ذلك مرتبط بسماعي لغناء الرجلين حال احتضارهما..

❊ من عجائب الأيام..

بعد مدة تزيد على ستة أشهر.. حـصل حادث عجيب.. شخص يسير بسـيارته سـيرًا عـاديًا.. وتعطلت سـيارتـه.. في أحد الأنفـاق المؤدية إلى المدينة..

ترجل من سيارته.. لإصلاح العطل في أحد العجلات.. وعندما وقف خلف سيارته.. لكي ينزل العجلة السليمة..

جاءت سـيارة مسرعـة وارتطمت به من الخلف.. سقط مصـابًا إصابات بالغة..

حضـرت أنا وزميل آخر غـير الأول.. وحملناه مـعنا في السيـارة وقمنا بالاتصال بالمستشفى لاستقباله..

شاب في مقتبل العمر.. متدين يبدو ذلك من مظهره..

عندما حملناه سمعناه يهمهم.. ولعجلتنا في سرعة حَملِه لم نميز ما يقول.

ولكن عندما وضعناه في السيارة وسرنا..

سمعنا صوتًا مميزًا..

إنه يقرأ القرآن.. وبصوت ندي.. سبحان الله لا تقول هذا مصاب..

الدم قد غطى ثيابه.. وتكسرت عظامه.. بل هو على ما يبدو على مشارف الموت..

$ استمر يقرأ بصوت جميل.. يرتل القرآن..

لم أسمع في حياتي مثل تلك القراءة.. كنت أحدث نفسي وأقول سألقنه الشهادة مثل ما فعل زميلي الأول.. خاصة وأن لي سابق خبرة كما أدعي..

أنصتُ أنا وزميلي لسماع ذلك الصوت الرخيم..

أحسست أن رعشة سرت في جسدى.. وبين أضلعي..

فجأة.. سكت ذلك الصوت.. التفت إلى الخلف.. فإذا به رافع أصبع السبابة يتشهد.. ثم انحنى رأسه..

قفزت إلى الخلف..

لمست يده..

قلبه.

أنفاسه.

لا شيء..

فارق الحياة..

نظرت إليه طويلاً.. سقطت دمعة من عيني.. أخفيتها عن زميلي.. التفت إليه وأخبرته أن الرجل قد مات.. انطلق زميلي في البكاء.. أما أنا فقد شهقت شهقة وأصبحت دموعي لا تقف.. أصبح منظرنا داخل السيارة

مؤثرًا.

وصلنا المستشفى..

أخبرنا كل من قابلنا عن قصة الرجل.. الكثيرون تأثروا من حادثة موته وذرفت دموعهم.. أحدهم بعدما سمع قصة الرجل ذهب وقبل جبينه..

الجميع أصروا على عدم الذهاب حتى يعرفوا متى يُصلى عليه ليتمكنوا من الصلاة عليه.

اتصل أحد الموظفين فى المستشفى بمنزل المتوفى..

كان المتحدث أخوه.. قال عنه.. إنه يذهب كل اثنين لزيارة جدته الوحيدة في القرية.. كان يتفقد الأرامل والأيتام.. والمساكين.. كانت تلك القرية تعرفه فهو يحضر لهم الكتب والأشرطة الدينية.. وكان يذهب وسيارته مملوءة بالأرز والسكر لتوزيعها على المحتاجين.. وحتى حلوى الأطفال لا ينساها ليفرحهم بها.. وكان يرد على من يثنيه عن السفر ويذكر له طول الطريق.. إنني أستفيد من طول الطريق بحفظ القرآن ومراجعته.. وسماع الأشرطة والمحاضرات الدينية.. وإنني أحتسب عند الله كل خطوة أخطوها..

من الغد غص المسجد بالمصلين.. صليت عليه مع جموع المسلمين الكثيرة.. وبعد أن انتهينا من الصلاة حملناه إلى المقبرة.. أدخلناه فى تلك الحفرة الضيقة..

* وجهوا وجهه للقبلة..

باسم الله وعلى ملة رسول الله..

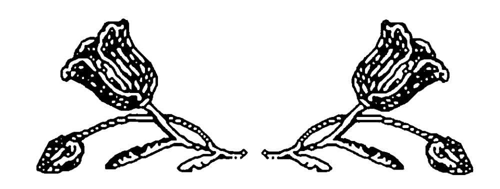
بدأنا نُهيل عليه التراب.

اسألوا لأخيكم التثبيت فإنه يُسأل..

استقبل أول أيام الآخرة.. وكأنني استقبلت أول أيام الدنيا..

تُبتُ مما عملت عسى الله أن يعفو عما سلف وأن يثبتني على طاعته وأن يختم لي بخير..

وأن يجعل قبري وقبر كل مسلم روضة من رياض الجنة..





العـــودة

إن تَبق تُفـجع بالأحـبـة كلـهمُ

وفنـاء نفـسك لا أبا لكِ أفــجعُ

سقطتْ على الأرض مغشيًا عليها . .

ليست المرة الأولى . . فهي تعاني من إرهاق نفسي متواصل منذ أن تزوجت قبل سنتين . .

لقد أخبروها أنه رجل طيب . . وفيه خير . .

تستطعين التأثير عليه لكي يتدارك أمور دينه . . ويحافظ على الصلاة مع الجماعة . . وأنت يا بنيتي . . قد تزوجت أختك الصغرى قبلك . . وأعتقد أن هذا هو الأصلح لك . .

وأصرت أمي على هذا الخاطب . . فهو ميسور الحال . . ومن عائلة معروفة . . ومركزه الوظيفي جيد . .

مظاهر براقة لا تهمني . .

فقد سألت عن الدين . . هذا ما يهمني . . أريد رجلاً صالحًا يعينني على الخير وعلى الطاعة . . إن أحبني أكرمني وإن كرهني سرحني سراحاً جميلاً . . فما أكثر ما نسمع من تلك القصص المبكية من ظلم الأزواج ومشاكلهم مع زوجاتهم لقلة الخلق والدين.

كنت أحلم بمن يوقظني للصلاة في جوف الليل . .

كنت أدعو الله في ظلام الليل ودموعي تتساقط أن يرزقني الرجل الذي يعينني على الطاعة وأعيش معه على مرضاة الله . .

نسير سويًا متجهين إلى الله . . نقتفي أثر الرسول ﷺ، وأصحابه الطيبين . .

كنت أحلم بالرجل الذي يُربي أبنائي تربية إسلامية صحيحة..

كأني أقف بالباب أرمقه هو وابني وهما ذاهبان إلى المسجد.. دعوت الله أن يتردد على مسامعي.. قول زوجي..

كم حفظت اليوم من القرآن؟!

وكم جزءًا قرأت.. أحلم أنني أقف بطفلي أمام الكعبة وأدعو له.. سأنجب أكبر عدد من الأبناء طالما أن في ذلك أجرًا... وأنني سأخرج للدنيا من يوحد الله..

طالما حلمت الأحلام الكثيرة.. ولطالما متعت نفسي بتلك الأحلام.. الحمد لله على كل حال..

احتسبتُ الأجرَ وصبرتُ على زوجي.. في البداية كان ينهض للصلاة.. ومع مرور الأيام بدأ يتثاقل..

ماذا تريدين.. الله غفور رحيم..

سأصلي..

الوقت مبكر..

هذا هو الرد السريع عندما أحثه على صلاة الجماعة حتى لا تفوته.. أحس أنه يتغير مع إلحاحي إلى الأفضل.. على الأقل هذا ما أتفاءل به..

كنت أخشى رفقاء السوء فقد حدثني عن بعضهم.. أصبحت أخشى عليه من تأثيرهم.. فكرت في طريقة قد تكون مجدية أكثر من نصحي له.

لماذا لا أعرفه على الشباب الصالح فقد يتأثر بهم..

زوج صديقتي شاب طيب وملتزم وصالح إن شاء الله .. أسرعت

للهاتف رحبت صديقتي بالفكرة وشجعت زوجها..

أخبرته أن صديقتي ستأتي ومعها زوجها..

بعد أسبوع من الانتظار الطويل زارتنى صديقتي هى وزوجها..

قلبي يخفق من الفرح.. عسى الله أن يلقي في قلبه حبه.

كلما طال وقت الزيارة كلما زادت دقات قلبي..

* بعد زيارة قصيرة ودعت صديقتي عند الباب..

رجعت إليه بسرعة..

جلست أضغط على أصابعي بقوة.. أنتظره يقول شيئًا..

نظرت في عينيه.

فقال.. لقد كان لطيفًا.. وذو خلق عال..

ولكنه لم يبد حماسًا للقائهم وللذهاب لهم كما وعدهم برد الزيارة حاولت بشتى الوسائل والسبل أن أعينه على المحافظة على الصلاة في المسجد.

الآن إلحاحي زاد بعد أن أنجبت منه ابنًا.. أسهر الليالي الطويلة لوحدي..

هو يقهقه مع زملائه وأنا أبكي مع طفلي..

أكثرت من الدعاء له بالهداية..

قررت أن أصلي صلاة الليل في غرفتنا بجواره عسى أن يهدي الله قلبه.. أحيانًا يستيقظ ويراني أصلي.. وفى النهار ألاحظ عليه أنه يتأثر من صلاتي

وطولها.

مساء ذلك اليوم أخبرني أن أجهز له ثيابه.. سيسافر.. إلى المدينة الفلانية في رحلة عمل.. لا أعرف صدقه من غيره.. غالبًا يسافر ولا يتصل بنا.. أحيانًا أخرى يتصل ويترك رقم غرفته وهاتفه.. إذا اتصل عرفت أين هو.. لكن أحيانًا كثيرة لا أعلم أين يذهب.. ولكني أحسن الظن بالمسلم إن شاء الله.

في مدة سفره سأخصه بالدعاء..

في اليوم التالي.. اتصل بنا.. هذا رقم هاتفي.. الحمد لله.. اطمأننت أنه في المملكة..

انقطع صوته ثلاثة أيام.. وفي اليوم الرابع..

أتى صوته.. لم أكد أعرفه.. صوته حزين.. ما بك؟! سأعود الليلة إن شاء الله.. في تلك الليلة لم أنم من كثرة بكائه.. ماذا جرى لك؟! أخذ في البكاء كالطفل.. ثم تبعته في البكاء وأن لا أعلم ماذا به.. وبعد فترة سادها الصمت الطويل.. أخذ ينظر إليّ.. والدموع تتساقط من عينيه..

مسح آخر دمعة ثم قال: سبحان الله! زميلي فى العمل.

* سافرنا سويًا لإنجاز بعض الأعمال.. ننام في غرفتين متجاورتين لا يفصلنا سوى جدار واحد.. تعشينا ذلك المساء.. وعلى المائدة.. تجاذبنا أطراف الحديث.. ضحكنا كثيرًا.. لم يكن بنا حاجة للنوم.. تمشينا فى أسواق المدينة لمدة ساعتين.. أرجلنا لم تقف عن المشى.. وأعيننا لم نغضها عن المحرمات.

ثم عدنا وافترقنا على أمل العودة في الصباح للعمل لإنهائه.

نمت نومًا جيدًا . .

صليت الفجر عند الساعة السابعة والنصف . .

اتصلت به بالهاتف لأوقظه . . ولم يرد . . كررت المحاولة . . لعله في دورة المياه . . شربت كوبًا من الحليب كان قد وصل في الحال . . اتصلت مرة أخرى . . لا مجيب . . الساعة الآن الثامنة وقد تأخرنا عن موعد الدوام . . طرقت الباب . . لا مجيب . . اتصلت باستعلامات الفندق لعله خرج . . ولكنهم أجابوا أنه موجود في غرفته . .

لا بد أن نفتح لنرى . .

أصبح الموقف يدعوللخوف . . أحضروا مفتاحًا احتياطيًا . . دلفنا الغرفة بسرعة . .

إنه نائم . .

يا صالح . .

ناديته مرة أخرى يا صالح . .

رفعت صوتى أكثر وأنا أقترب منه . .

نائم ولكنه عاض لسانه . .

ومتغير اللون . .

ناديته . .

اقتربت أكثر . .

لا حراك . .

التقرير الطبي يقول: إنه مات منذ البارحة بسكتة قلبية مفاجئة..

أين الصحة والعافية والشباب؟! البارحة كنا نسير سويًا.. لم يشتَكِ من شيء.. ليس به مرض ولم يصبه مرض أبدًا..

أعدت حساباتي..

هذا موت الفجاءة لا نعرف متى سيأتي.. بل يحل ويلقي ركابه بدون مقدمات...

سألت نفسي لماذا لا أكون أنا صالحًا.. بم سأواجه الله.. أين عملى.. ماذا قدمت..؟ لا شيء مطلقًا!!

عرفت أنني مقصر في حق الله..

سكت زوجي.. بكى وأبكاني.. وبكينا سويًا..

حمدت الله على هذه الهداية.. عشنا بعدها كما كنت أحلم أو أكثر..

في الأسبوع التالي..

شكر لي جهدي معه وحرصي على هدايته.. وأخبرني أننا سوف نذهب لأداء العمرة والمكوث في مكة نهاية الأسبوع.. لنبدأ صفحة جديدة مع الاستقامة..

أكاد أطير من الفرح.. فأنا لم أذهب إلى مكة منذ أن تزوجت.

* ضُحى ذلك اليوم ذهبت إلى الحرم.. الأعداد قليلة.. فترة صيف وليس هناك زحام..

حقق الله ما كنت أحلم به.. وقفت بابني أمام الكعبة لكني لم أستطع الدعاء له لأنني بكيت وبكيت حتى تقطع قلبي..

في الغـد . . إن شـاء الله اليـوم سنطـوف طواف الوداع وسنغـادر هذه الأرض الطاهرة . .

بعد طواف الـوداع . . عدنا من الحرم لنسـتعـد للسفـر . . ما هذا الذي معك؟!

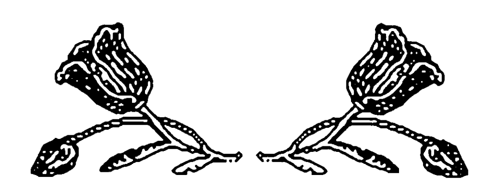
هذا كتـاب ابن رجب: جامع العلوم والحكم . . هذا كتـاب ابن القيم: زاد المعاد في هدي خيـر العباد . . هذا كتاب: الوابـل الصيب لابن القيم . . هذا كـتاب: الجـواب الكافي لمن سـأل عن الدواء الشافي . . وهذا القـرآن الكريم بحجم صغير لن يفارق جيبي . .

* أيتها الحبيبة . .

هذه معالم في طريقنا إلى الدار الآخرة . .

ثم أخذ يردد وهو يحمل الحقائب:

﴿رب اجـعلني مقـيم الصلاة ومن ذريتـي ربنا وتقبل دعـاء * ربنا اغفـر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب﴾ .





دعاء

لا شيء مما ترى تبقى بشَاشتُه

يبقى الإله ويودي المالُ والولدُ

تزوجتُ منذ ما يزيد على سبع سنين..

الحمد لله كل ما أنشده ـ من وجهة نظري ـ وجدته..

فأنا مستقر في عملي.. مستقر في زواجي..

لا أشكو إلا الملل..فأنا وزوجتي لم نرزق أطفالاً .. ومن هنا بدأ الملل.. وكثرت زيارات الأطباء..

كل جهد أعتقد أنني بذلته..

سافرت للداخل والخارج..

عندما أسمع عن طبيب قادم متخصص في العقم.. أحجز لديه موعدًا..

التحاليل كثيرة والأدوية أكثر..

* ولكن لا فائدة..

أصبح أكثر حديثنا أنا وزوجتي في الطبيب الفلاني

وماذا قال؟! وماذا سنتوقع؟!

التوقعات تستمر لمدة سنة أو سنتين.. فمرحلة العلاج طويلة..

منهم من أخبرني أن العقم مني..

والبعض أفادنا أن العقم من زوجتي..

على كل حال..

سارت أيامنا مراجعة وبحث عن حل..

أصبح هاجس الطفل يسيطر على مشاعرنا.. وعلى الرغم من أنني أحاول أن لا أشعر زوجتي بذلك.. ولكن لا بد أن تشعر بما يدور..

فالأسئلة كثيرة..

هناك من يسألها ماذا تنتظر.. وكأن الأمر بيدها..

منهم من ينصحها باسم طبيب في المكان الفلاني..

لقد ذهبت له فلانة وأنجبت طفلاً.. وفلانة..

وهكذا أصبح مجتمع زوجتي له نصيب كبير من الأسئلة..

لم يقل لنا أحد ..

لماذا لا نتجه إلى الله وندعوه دعوة صادقة..

سبع سنوات مضت ونحن نلهث وراء الأطباء وتركنا الدعاء..

وتركنا التوجه إلى الله.

※ ذات مساء ..

عبرت طريقًا فإذا بشخص كفيف يريد أن يعبر الطريق..

أمسكت بيده.. وعبرت به الجزء الأول من الطريق.. ووقفنا في المنتصف.. ننتظر خلو الشارع في الجهة الأخرى من السيارات..

ووجدها فرصة ليسألني.. بعد أن دعا لي بالتوفيق والصحة..

هل أنت متزوج؟

فأجبته بنعم..

فأردف قائلاً..

ألك أبناء؟!

فقلت له لم يقدر الله ذلك.. منذ سبع سنين ونحن نتظر الفرج..

عبرنا الطريق.

ولما أردت أن أودعه قال لي :

يا بني لقد جرى لى ما جرى لك وأخذت أدعو في كل صلاة..﴿رب لا تذرني فردًا وأنت خير الوراثين﴾.

والحمد لله لي من الولد سبعة.. ضغط على يدي وقال:

لا تنس الدعاء..

ولم أكن أحتاج إلى توصية..

فقد وجدت مفقودًا..

أخبرت زوجتي بما حدث لي..

وتجاذبنا الحديث.

أين نحن عن الدعاء.. كل شيء بحثنا عنه وجربناه..

وكل طبيب نسمع به طرقنا بابه..

* فلماذا لا نطرق باب الله؟ وهو أوسع الأبواب وأقربها..

تذكرت زوجتي أن امرأة مسنة قد قالت لها منذ سنتين..

عليك بالدعاء..

ولكن كما قالت زوجتي..

كان في ذلك الوقت لدينا مواعيد لا حد لها مع الأطباء..

أصبحت مراجعاتنا للأطباء مراجعة عادية.

بدون تلهف وبدون قلق . .

مراجعات عادية . .

نبحث عن علاج محدد فقط . . يكون سببًا من الأسباب . .

وتوجهنا إلى الله بقلوبنا . . في الصلوات المكتوبة وفي جوف الليل . .

تحرينا أوقات الإجابة . .

ولم يخب الظن . .

ولم نُرَد . .

بل فتح الله باب الإجابة . .

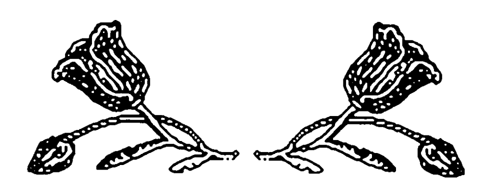
وحملت زوجتي . .

ووضعت طفلة . .

تبارك الله أحسن الخالقين . .

لم نخف الفرح ولا السرور . .

ولكننا الآن ندعو . . **﴿ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾** .





لمن كان له قلب

ما زال يلهَج بالرحيل وذكره
حتى أناخ ببابه الجَمَّالُ
فأصابه متيقظًا متشمرًا
ذا أُهبةٍ لم تلهه الآمالُ

ما زلت أتذكر وأنا طفل صغير..

أنني أُدخلت المستشفى لمدة أسبوع من جراء برد أصابني..

وعند خروجي سمعت الطبيب يخبر والدي بأن صحتي الآن جيدة ولكن قد يكون لهذا المرض تأثير في المستقبل.

مضت سنون طويلة..

أصبحت شابًا ثم أبًا..

أحيانًا أشعر بالتعب والإرهاق من أقل مجهود أبذله..

ذهبت إلى المستشفى لإجراء فحوصات كاملة.. تبين أن لديَّ ضعف في صمامات القلب.. وأحتاج إلى عملية في القلب.. وأن هذا الضعف من جراء برد أصابني في فترات سابقة أدى إلى روماتيزم في القلب..

حاولت أن أقنع الطبيب بعلاج أو راحة.. تغني عن العملية..

ولكنه أخبرني..

* إن حاجتك إلى العملية ستكون بعد عدة شهور..

وستتأكد من ذلك بنفسك.

وفعلاً بعد عدة شهور.

بدأ الضعف ينتابني والإرهاق يبدو عليَّ..

وقررت الرضا بقضاء الله وقدره وأن أسلم أمري إلى الله..

بعد إجراء فحص شامل وما يتبعه من إجراءات..

تم أخذ موعد لكي أحضر للمستشفى للإقامة وذلك قبل موعد إجراء العملية بيوم..

وكان ذلك..

بدأت زيارة الأقارب في اليوم الأول..

كنت مرتاح البال مطمئن الخاطر..

جلست مـدة تزيد على ساعة مع الـطبيب الجراح الذي سـيقـوم بإجراء العملية.

في الليلة التى سبقت موعد العملية

نمت نومًا هادئًا لم أفكر في شيء.. مطلقًا..

ومع آذان الفجر استيقظت..

سمعت الآذان..

وتردد صداه في داخلي..

هز كياني..

طرقني هاجس..

تغير هدوئي..

لا أعرف ماذا جرى لي.

العملية صعبة.

ربما أن هذا آخر أيامك في هذه الحياة.

ربما هذا آخر آذان تسمعه في حياتك..

وأخذت تتجاذبني الهواجس من كل جانب..

أين كنت فيما مضى؟!

سؤال جعل الدمع ينهمر من عيني..

مرت حياتي الماضية كحلم..

أين أنا عن الآخرة..

ها هو ذا الموت قد اقترب..

وحين رفعت بصري

فإذا بالمرض يقف على رأسي..

ما بك؟!

لم أجبه.. ليس لدي جواب..

لكنه لاحظ اضطرابي وقلقي.. وربما أنه يتوقع ذلك فقد كان يحمل بيده إبرة منومة.

سلمت يدي..

وأنا أعلم أنني سأسلم قلبي للجراح..

وقبل ذلك كله..

سلمت أمري إلى الله..

سيُفتح صدري..

وسيتوقف قلبي عن النبض طوال مدة العملية..

وعند الانتهاء من العملية.

سترسل شحنة كهربائية لتنشيط القلب وإعادته مرة أخرى للنبض..

وفي حالة عدم الاستجابة..

ستكرر الصدمة الكهربائية مرة ثانية..

بعدها سأُحمل على الأعناق..

معرفتي بكل التفاصيل هى التي جعلتني أرى الحياة هينة ورخيصة..

كيف أنني فرطت في عمري..

غفوت بعد لحظات من أخذ الإبرة.

علمت فيما بعد..

أن الجراح عمل في قلبي لمدة ثماني ساعات متواصلة..

حمدت الله أن قلبي استجاب للصدمة الكهربائية الأولى..

بعد خروجي من المستشفى..

كل يوم آخذ في مراجعة أيامي..

أتذكر تلك اللحظة التى انهمر الدمع فيها وأنا على سرير الموت..

كيف سأواجه الله؟!

وبماذا؟!

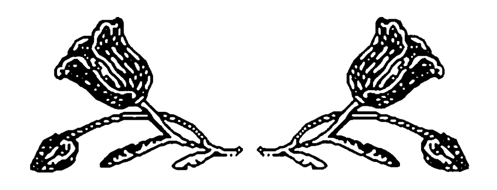
وكلما تذكرت تلك اللحظة

ازددت طاعة وقُربًا من الله

وكلما جذبتني نفسي للتقصير والكسل..

تذكرت ذلك الموقف..

حمدت الله أنني عدت للحياة من جديد..





الباب المفتوح

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي

جعلتُ رجائي نحو بابك سُلما

على الرغم من أنني كنت مشتغلاً بدراستي الجامعية إلا أن لدي بعض الوقت أقضيه في مزاولة هوايتي المفضلة ـ كما يقال ـ وهي المراسلة..

فقد اشتركت في مجلة دولية للمراسلة.. وكانت لي علاقات مع أصدقاء كثير في أنحاء العالم فقد كنا نتبادل الصور والطوابع.

وفي نهاية السنة الثالثة الجامعية وقبل اقتراب العطلة الصيفية.. فكرت في أن أسافر لعدة دول..

منها أني أتعرف على تلك المناطق..

وأجتمع بالأصدقاء الذين لي علاقة ببعضهم منذ سنتين أو أكثر..

من الناحية الاقتصادية..

الموضوع بالنسبة لي سهل حيث أنني لن أصرف مبالغ كثيرة..

سأحل ضيفًا على الأصدقاء لمدة يومين أو ثلاثة.. إلى أسبوع..

ومن جهة أخرى سيقوم الأصدقاء بتعريفي على الأماكن الأثرية والمواقع السياحية.. فسأكون محفولاً مكفولاً..

نظمت خط سير رحلتي من المملكة فقررت أن أزور فرنسا أولاً ثم ألمانيا.. بعد ذلك أغادر إلى إسبانيا ثم إلى المغرب ثم إلى مصر وأخيرًا أعود إلى بلادي..

وخط سيري هذا رتبته مع العديد من الأصدقاء في هذه الدول الذين رحبوا بزيارتي.. كما أنني لم أرتبط بحجز للسفر.. بل تركت الأمور حسب ارتياحي في كل دولة..

* أنهيت العام الدراسي.. ونجحت ولله الحمد بتفوق..

أخبرت أهلي بسفري.. لم يكن لديهم ممانعة في ذلك أحضرت آلة تصوير وبعض الأوراق الضرورية..

ولم أنس عناوين وهواتف الأصدقاء.. أقنعت نفسي أنني سأسافر للسياحة.. لا للمظاهر والبهرجة.. لذا اشتريت من الملابس أبسطها.. وحملت من المال ما يكفي..

لغتي الإنجليزية لم تساعدني في محطتي الأولى حيث يتكلم الشعب الفرنسي اللغة الفرنسية ولكن عندما استقليت سيارة أجرة من المطار إلى مدينة باريس..

عرفت أن اللغة الإنجليزية يتحدثها أصحاب الفنادق والمحلات الكبرى..

نزلت في فندق متواضع وكان الجو بارداً.. وملابسي يبدو أنها لن تقوم بالواجب.. فجسمي بدأ يرتعش من البرد..

الليلة الأولى مضت.. وسرنى أنني عندما اتصلت بصديقي وكان في مدينة بعيدة عن باريس وأخبرته بقدومي.. أظهر لي السرور وأخبرني أنه سينتظرني غداً عند محطة القطار في مدينته..

في الغد حملت حقيبتي.. وركبت القطار..

ولا شك أنني عاتبت نفسي لكثرة التقاطي للصور خوفًا من نفاذ الأفلام التي معي..

ولكن المناظر الطبيعية.. تأسرك بجمالها..

قبل وصول القطار بفترة..

أخرجت صورة صديقي الفرنسي أتفحصها.. لكي أتعرف عليه.. فأنا

لم أره وهو لم يرني من قبل..

لم أجد صعوبة عند توقف القطار ونزولي في التعرف عليه.

سار بنا إلى منزله وكان يتكلم الإنجليزية.. لغة المراسلة بيننا..

قضيت أيامًا جميلة عندهم.. امتدت لخمسة أيام.. ثم بعد أن شاهدت مدينته وزرت مناطق السياحة فيها.

سافرنا سويًا إلى مدينة أخرى مكثنا فيها يومين ثم عدنا إلى باريس معًا وأمضينا فيها ثلاثة أيام عند أحد أصدقائه..

* بعدها غادرت إلى ألمانيا..

نفس مشكلة اللغة من جديد فالألمان لا يتكلمون إلا اللغة الألمانية.

في ألمانيا ارتحت أكثر لأن صديقي يملك سيارة.. وهذا ساعدنا على حرية الحركة وإن كان أفقدنا بعض المتعة من السفر في القطار والرحلات الجماعية..

على أية حال.. مكثت في ألمانيا لمدة أسبوع وكان صديقي يمضي إجازة مثلي.. فلم نُقمْ في منزلهم سوى يوم واحد.. ومن ثم أخذنا فى التجوال في ألمانيا.. بل إننا قطعنا مسافة تزيد على خمسة آلاف كيلو مترًا على الطرق.. وهذا كلفنا ثمن شراء وقود السيارة.. وكان هذا الثمن مناصفة بيننا..

رأيت ألمانيا أكثر من فرنسا.. كما أن صديقي الألماني وضعه المادي جيد.. وله أقارب في مناطق متفرقة من ألمانيا.. وإن كان أقاربه لم يقدموا لنا شيئًا يذكر..

* غادرت ألمانيا إلى إسبانيا وقد خططت لتكون الإقامة أطول فيها..

دمعتك في إسبانيا تسبق نظرك..

ماذا ترى بالأندلس.. ألم تسمع قصيدة الرثاء في سقوط الأندلس..

لكــل شيء إذا مــــا تم نُقــــصــــانُ

فــــلا يُغــــر بــطيب العـــيشِ إنســـانُ

هي الأمـــور كـــمـــا شـــاهدتهـــا دولٌ

من ســــره زمنٌ ســــاءتـــه أزمـــانُ

يعتصر قلبك ويعجز لسانك.

أتصف الآثار.. عظمة في الدولة.. وعظمة في البناء..

هذا مآلها..

كلما دخلتُ مسجدًا اهتز قلبي..

كم من الركع ذهبوا.. كم من العباد دلفوا..

والناس مشغولون..

هذا الفسيفساء.. وهذا عقد.. وهذا.. كأن الإسلام مبانٍ وآثار..

على الرغم من أنني لا أزور المسجد المجاور لنا إلا قليلاً.. لكن مساجد الأندلس تختلف..

بل كم مرة دخلت مسجد الحي ولم يهتز في قلب ولم يرف لي جفن.. وأنا داخل للصلاة..

والآن تهتز جوانحي وأنا سائح.. لا مُصلٍ ولا عابد..

حدثني صديقي الإسباني عن عـدل المسلمين عندما كانوا هنا.. وحدثني عن معلومات تاريخية.. لا أعرف صحـتها من خطئها.. كل ما هنالك أنني

أحرك رأسي عند نهاية كلامه.. لا أجد جوابًا..

ولكن قلبي يهتز..

يتحدثون عن التاريخ الإسلامي.. تاريخ آبائي وأجدادي.. ولا أعرف عنه شيئًا..

بل إنني أفكر.. هل أنا من أحفاد من فتح الدنيا..؟

غادرت الأندلس وأنا حيران بكل ما تدل عليه هذه الكلمة من معنى.

وصلت بطريق البحر إلى المغرب..

ثم سافرت بالحافلة إلى قرية صديقي المغربي وكانت بالقرب من الحدود الجزائرية.. أقبلنا على القرية.. قرية وادعة في وسط الصحراء.. تذكرني بقريتي.. لم نحتج للعنوان..

أين بيت جابر؟! الكل يعرفه.. وجه غريب.. الكل ينظر إليّ.. أخذني أحدهم عندما عرف أنني قادم من أرض الحرمين.. حمل حقيبتي بإصرار عجيب..

طرقنا الباب.. هذا والد جابر.. لم أُعْط فرصة لأن أعرف نفسي..

هذا قادم من مكة..

احتضنني.. تفضل.. حفاوة بالغة.. أخجلتني. لقد كانوا ينتظرون قدومي بشوق منذ أسبوع. أعدوا لي الحفلات كما ذكروا..

بعد شرب الشاي.. وضعوا لي غرفة مرتبة..

* في المساء..

قالوا إن أهل القرية يريدون أن يروك.. (ماذا....)

يرونني.. وُضِعتُ على المنصة في الحفلة.. وتكلم مسئول الحفل.. فرحب بي ترحيبًا حارًا.. وكان الحفل يضم أغلب أهل القرية إن لم يكن كلهم.. رجالاً ونساء وأطفالاً..

بعدها تحدث إمام المسجد عن فضل مكة المكرمة والمدينة المنورة.. ورحب بى.. وكانت المفاجأة الصاعقة لي..

يتحدث إليكم القادم من أرض الوحي من مهبط القرآن الكريم من أرض مكة والمدينة.. كنت قبل أبتسم عندما تحدثوا..

ولكن عندما طلبوا مني الحديث..

تغير لوني.. ارتعدت فرائصي.. انعقد لساني..

لم أتعود أن أتحدث في جمع كهذا.. ثم ماذا أقول.. وأنا طالب الاقتصاد.. لا معلومات شرعية أو ثقافية لدي.

ولكن الله يسر.. فقد تحدثت إليهم عن الحرم والكعبة.. والحج.. وتكلمت كثيرًا عن الحج فهو موضوع بسيط درسته منذ القدم ولدي معلومات سنوية متجددة من خلال الإعلام خلال موسم الحج..

ودعوت الله لهم أن يحجوا إلى مكة..

فكان أن تعالت الأصوات والبكاء.. والتأمين.

خفت من الموقف خوفًا من الله.. بدأت أتحدث بشكل منفعل وكأنني أخاطب نفسي بالتوبة.. خنقتني العبرة وأنا أتحدث.. فبكيت.. سكت الجميع برهة.. وأنا أصابني ذهول من نفسي.. كأنني فى حلم عجيب..

قام الجميع يسلمون علّي ويتحدثون بكلام لا أفهمه.. نصفه بكاء ونصفه الآخر بلهجة محلية..

بعد هذا المشـهد وكأنني أشاهد تمثيلية أنا بطلها.. دُعينا إلـى العشاء.. وكان عشاء يكفي لجميع الحاضرين.. لكنني لم أكن أتلذذ بالأكل..

في داخلي شيء لا أعرفه..

ذهبت إلى غرفتي وأغلقت الباب على نفسي..

وبكيت..

بل إنني وضـعت وجهـي على وسادتي.. حـتى ابتلت من الدمـوع.. حاولت أن أخفض صوتي حتى لا يسمعني أهل البيت..

لا أعلم متى توقفت عن البُكاء.. ولكن النوم غلبني وأنا أبكي.. ولعل عناء السفر ساعدني على النوم.

طُرق الباب عليّ..

صلاة الفجر..

خرجت إلى المسجد.. وصليت بخشوع قلب.. وبكيت في الصلاة..

أصبـحت شارد الذهن.. لا أعلم ما أصـابني.. لا أعلم كيف قـضيت أيامي.. لكن ليالي كانت بكاء وكان الشرود باديًا عليّ في النهار..

قـررت أن أعـود إلى بلادي.. رغم إصـرارهم علـى المكوث.. لكني عزمت على العـودة.. وكان خط سيـرى إلى جدة.. انتـقلت من جدة إلى مكة.. ومكثت أسبوعًا في الحرم.. لا أخرج إلا لحاجة ضرورية.

بدأت أقرأ القرآن بتمعن.. أصلي بخشوع.. أطوف بطمأنينة..

* أين أنا عن كل هذا.. أين السنون الماضية؟!

لم أستطع أن أراجع حساباتي.. لأنه يغلبني البكاء.. والندم الشديد.. كنت إذا تفكرت في الماضي..

أفتح المصحف وأقرأ.. دموعي لا تفارقني..

تساءلت أين هذه الدموع السنين الماضية..

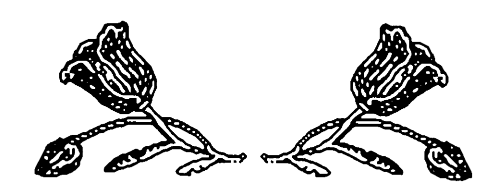
لا أعلم..

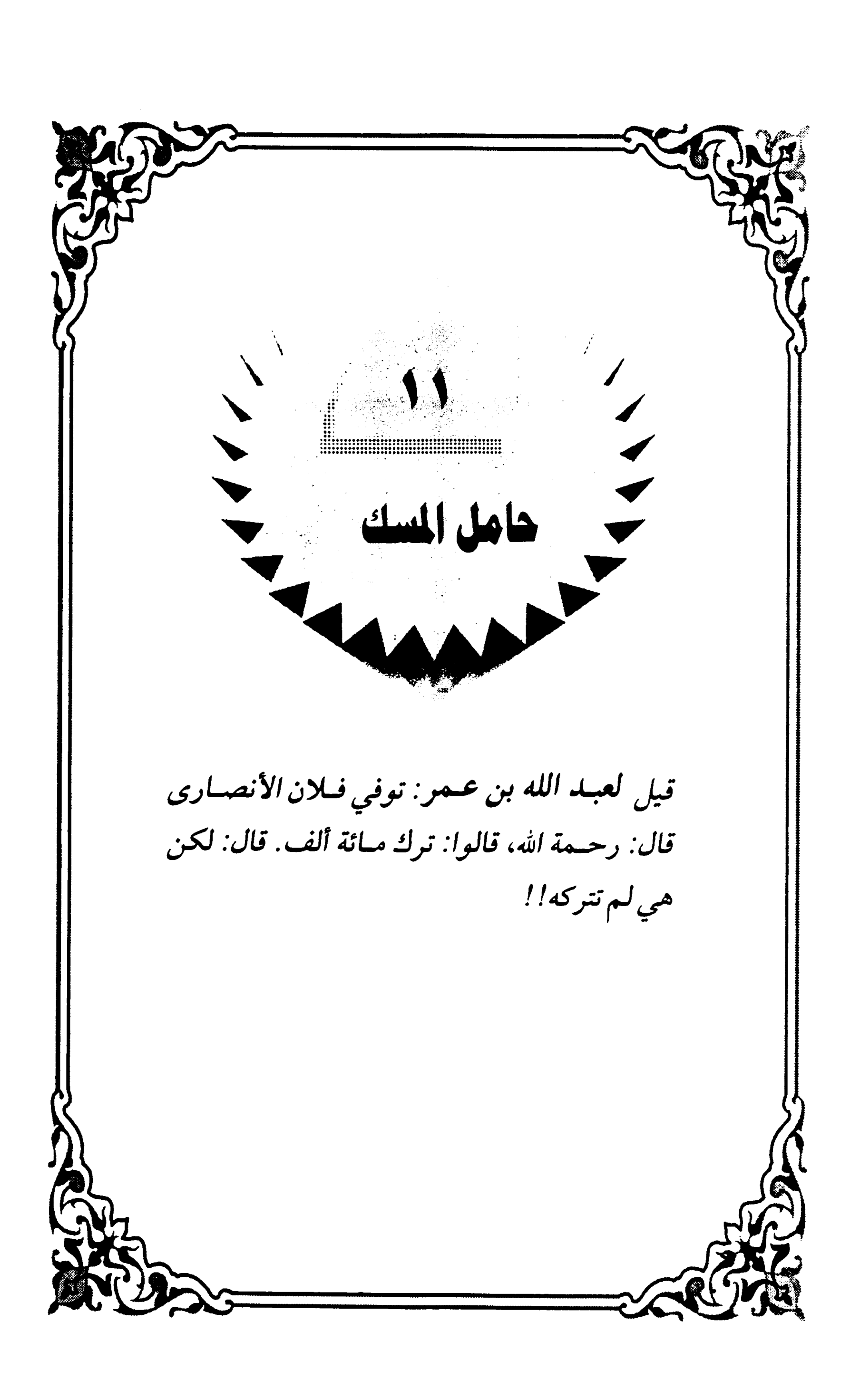
هدأ روعي تلك الدروس التي تقام فى الحرم..

اشتريــت كتابًا بعنوان: «حادى الأرواح إلى بلاد الأفــراح» وآخر عنوانه: «واحات الإيمان» لعبد الحميد البلالي.

وقبل هذا وذاك..

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب..





١١

حامل المسك

قيل لعبد الله بن عمر: توفي فلان الأنصاري قال: رحمة الله، قالوا: ترك مائة ألف. قال: لكن هي لم تتركه!!

أصابته ضـائقة مالية شديدة تردت أوضاعـه.. وقل ما في يده.. وتفرق أصحابه..

يتذكـر أنه منذ عشـرة سنوات قدم استـقالته من وظـيفتـه.. وتحول إلى الأعمال الحرة..

تغيـرت أحواله بعد الاستـقالة.. كثـرت أمواله.. انتقل إلى دار كبـيرة ومنزل واسع..

تزوج المرأة الثانيـة.. أسفاره لا تعـد.. انغمس في الملذات والمحـرمات بدون حد..

يسمع الآذان.. ولا يبـعد المسجـد عن مكتبه سـوى أمتار مـحدودة ولا يذهب للصلاة بل إن له فتـرة طويلة ما سجد لله سجدة.. مـشغول لا وقت لديه.

في بيتـه كالحـيوان.. يأكل ويشـرب وينام.. حتى تربيـته لأولاده.. لم يسألهم يومًا هل يعرفون الصلاة أم لا؟!

في أمـواله يتسـاوى لديه الحلال والحـرام.. لا تهـمه الوسـيلة.. المهم النتيجة.. فهذه قاعدته التجارية..

ولكن خلال السنتين الماضـيتين.. تردت الأمور التجـارية.. بدأ يحاول المستحيل حـتى يحافظ على أعماله وأرباحه السابقـة.. ولذلك بدأت أعماله تأخذ طابع الفوضى.. كالغريق يريد النجاة..

بدأ أصحـاب الربح السريع يزينون له هذا المشـروع.. وذاك المشروع..

هذا المشروع فشل ولم ينجح.. وهذا يساوي نصف ما دفع فيه.. خلال السنتين كثر الدائنون.. وكثرت مشاكله.. تذكر كيف كان قبل الاستقالة من الوظيفة.. الآن مصروفاته باهظة ودخله قل.. بدأ يأخذ القروض من البنوك.

خلال سنة واحدة تراكمت عليه الديون وعجز عن السداد.. انتقل إلى مرحلة جديدة في حياته.. مرحلة المطالبات في المحاكم ولدى الحقوق والشرطة.. أصبح عمله فقط محاولة إرجاء حقوق الدائنين إلى وقت آخر.. مرت الشهور.. وحلت الديون.. وبدأت ملامح السجون.. تارة بالتهديد والوعيد. وتارة بتقديم الشكاوي.. هذا ما فعله الدائنون..

باع جميع ما يملك.. منزله.. سياراته.. أراضيه.. أملاكه التجارية.. سدد الجزء الأكبر..

تبقى جزء من الديون أمهله أصحابها رأفة به.. انتقل إلى بيت صغير جمع فيه زوجته وأبناءه العشرة.. السائق والخادمة لا وجود لهما عنده.. الليل يقضيه في هموم وغموم..

* في وسط هذه المشاكل خطرت في باله زيارة صديقه محمد.. سوف يساعده بمبلغ من المال.. فهو صديق طفولته.. ورفيقه في الوظيفة..

هل يذهب إليه.. أم لا ؟! على الرغم من أن محمداً عندما زاره قبل سنتين تضايق من المظاهر البراقة.. ومن أصوات الموسيقى والصخب في بيته.. ولكنها الحاجة..

صمم واختار وقتًا مناسبًا.. إنه وقت العصر من نهار الغد.. في منتصف العصر لبس ثوبه..

جرس البـاب يطرق.. من ؟! (قولوا غيـر موجود) إنه صـاحب البيت يريد الإيجار.. أين أبوكم؟! غـير موجـود.. اضطر أن يتأخر نصف سـاعة حتى يبتعد صاحب البيت عن الباب..

خرج على عجل وركب سيارته.. اتجـه إلى منزل محمد.. نفس البيت القديم إذ لم يغيره.. وصل إلى بيت محمـد بعد أذان المغرب مباشرة.. من بالباب؟!

أنا صالح.. أين محمد..

لقد ذهب إلى المسجد وسيعود بعد الصلاة..

ركب سيارته.. أطرق برأسه.. من العـيب أن ينتظر في السيارة والناس يمرون بجواره ذاهبين للمسـجد.. ثم ماذا لو خرج محـمد ووجده لم يصل مع الجمـاعة!! ثم أين يذهب؟! فأنا لست على وضـوء.. ولكنه في النهاية قرر.. سأذهب للصلاة ها هو ذا المسجد..

توضأ ثم ذهب للمسجد.. أدرك الركعة الثانية من صلاة المغرب.. بعد الصلاة قام أحد المشايخ وأمسك بمكبر الصوت..

بعد أن أثنى على الله وصلى على نبيـه ﷺ، فقط أريد من وقتكم خمس دقائق.. بدأ يتحدث عن الطاعـة.. وأنها سبب الحياة السعيـدة ألم تسمعوا قول الله تعالى ﴿**ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا**﴾ وتطرق لاستقامة الإنسان في الحـياة.. وعـدد بعض فوائد الاتجـاه إلى الله.. وذكر الرزق.. رفعت رأسي لأنظر إليه فهذا ما يهمني.. تابع تفسير قول الله تعالى: ﴿**ومن يتق الله يجعل له مخرجًا * ويـرزقه من حيث لا يحتسب**﴾ فذكر أن الرزق يأتيك

من أبواب لا تطرقها ولا تتوقع أن يأتيك منهـا. . أكمل الخمس دقائق ووفى بوعده. .

وقلت في نفسي ليته أخلف بوعده فحديثه لامس قلبي. . أين أنا من هذه الآيات والأحـاديث؟! لقـد كنت تائهًا لم أعـرف الله إلا في هذه الشـدة. . الحمد لله أنني عرفته. .

أثار في نفسي شجـونًا كثيرة. . فأنا منكسـر النفس من الناحية المادية. . وأثارني لقوله أن هذه أسباب المعاصي. . فتذكرت غفلتي. .

دمعت عيني. . وتنهدت. . خرجت من المسـجد. . ها هو ذا محمد. . دخلنا إلى منزله. . الله أكـبر صديق عـمر. . بمعنى هذه الكلـمة. . هش لي ورحب بي في وقت هرب فيه كل من حولي.

كيف أولادك. . كيف صحتك. . ما هي أخبارك؟!

* يا محمد لا تستعـجل. . سأخبرك بكل شيء. . طال حديثي وفصلت له كل شيء. . وبعـد أن انتهـيت. . أجـابني جوابًـا أسمـعه لأول مـرة فى حياتي. . هذه رحمة من الله لك. .

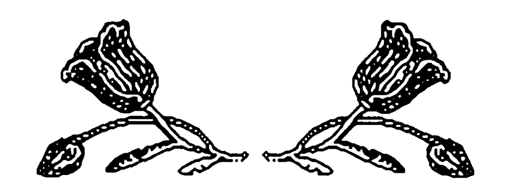
لقد أكـلت من الحرام أكثـر من الحلال. . وتركـت واجباتك الديـنية. . وابتعـدت عن الله. . لعل في هذا إيقاظ لقلبك. . لتـعرف أن المادة لا تعني شيئًا. . بل سيحـاسبك الله كما في الحديث: «**يُسـأل المرء عن أربع: عن عمـره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبة وفيم أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به..**»

ولكن الحمـد لله على كل حال. . كم تبقى من ديونك. . سـأكفلك في جميع ما تبقى. . وهذا المنزل المجاور لي اشتريته منذ خمس سنين ولقد خرج

المستأجر منذ شهرين.. وحلف عليّ أن أسكن به حتى ييسر الله أمري.. احتضنته وأنا أودعه.. رجل صالح بمعنى الكلمة.. على خلق ودين..

بعد أسبوع سكنا بجوار محمد.. له مجلس كل يوم اثنين مع بعض الإخوة يقرؤون في بعض الكتب الدينية، بدأ أبنائي يحفظون القرآن في المسجد مع أولاده.. بدأت أشعر بطعم الحياة.. بدأت أموري تتحسن.. والأهم من ذلك ديني.. وبيتي.. بعد صلاة الفجر أجلس في المسجد حتى تشرق الشمس..

لقد أشرقت شمس الإيمان في داخلي..





١٢

الزمن القادم

غـدًا توفي النفـوسُ مـا كـسـبت

ويحـصـد الزارعـون مـا زرعـوا

إن أحـسنوا أحـسنـوا لأنفُـسـهم

وإن أسـاءوا فـبـئس مـا صنعـوا

اشتعل الرأس شيبًا..

ها قد شارفت على الخمسين..

على الرغم من عشقي للقراءة.. إلا أن الوقت أخذ يضيق بي..

أصبحت مباهج الدنيا تأخذ متعة القراءة مني..

هذا ابن قادم وذاك حفيد لا تمل رؤيته..

حياة تسير على ما أتمناه.. لا يكدر صفوها شيء..

نهاية يوم الخميس حانت..

بعد يوم طويل.. حافل بالزيارات والمرح..

ودعتُ أبنائي وبناتي وأحفادي..

صرخ هاجس في داخلي..

هذه الدنيا عجب.. اجتماع وفرقة..

سيرحل الجميع.. وسَيوَدِعُون ويُوَدّعُون..

ستبقى وحيدًا..

ما هذه الأفكار..

بسرعة.. تلفت يمنة ويسرة..

مجموعة من الكتيبات ذات الحجم الصغير دائمًا تقع تحت نظرى..

لا شك أن ابنتي الصغرى هي التي وضعتها..

فهى تهديها إليّ بين حين وآخر وتُحثني على قراءتها.

كتاب أذكار الصباح والمساء..

كتاب زاد المسلم اليومي..

ماذا بعد..

هنا كتيب صغير..

لا يتجاوز أربع صفحات..

لا يحتاج إلا لأربع دقائق قراءة..

تناولته.. بسرعة استكملت قراءته..

أصابني الدوار..

همهمت بصوت خافت..

لا أُغسل..

ولا أُكفن..

ولا يُصلى عليَّ.

ولا أُدفن مع المسلمين..

ماذا بعد..؟

أنا ابن الخمسين..

هكذا ستكون نهايتي..

لا..

بل هناك المزيد سأعيد لكم القراءة مرة أخرى..

ولكن بالتفصيل.

الكتاب بعنوان: حكم تارك الصلاة[1]..

خلاصته..

أن تارك الصلاة كافر..

خاطبت نفسي هل أنا كافر..؟

أبعد هذا العمر.. أوصف بذلك..

صوت بعيد..

ولِمَ لا ؟؟

ألست تاركًا للصلاة..

اسمع ما يترتب على تارك الصلاة من أحكام.

أولاً: أنه لا يصح أن يتزوج، فإن عقد له وهو لا يصلي، فالنكاح باطل، ولا تحل له الزوجة.

ثانيًا: أنه إذا ترك الصلاة بعد أن عقد له فإن نكاحه ينفسخ ولا تحل له الزوجة.

ثالثًا: أن هذا الرجل الذي لا يصلي إذا ذبح لا تؤكل ذبيحته لماذا؟ لأنها حرام ولو ذبح يهودي أو نصراني فذبيحته يحل لنا أن نأكلها

رابعًا: أنه لا يحل له أن يدخل مكة أو حدود حرمها.

خامسًا: أنه لو مات أحد من أقاربه فلا حق له فى الميراث.

سادسًا: أنه إذا مات لا يُغسل ولا يُكفّن ولا يُصلى عليه، ولا يدفن مع المسلمين.. إذًا ماذا يصنع به؟

---

(١) لفضيلة الشيخ محمد بن عثيمين.

يخرج به إلى الصحراء ويحفر له ويدفن بثيابه لأنه لا حرمة له.

وعلى هذا فلا يحل لأحد مات عنده ميت وهو يعلم أنه لا يصلى أن يقدمه للمسلمين يصلون عليه.

* عشت حلم الواقع..

وضعت الكتاب جانبًا..

رفعت يدي إلى رأسي.. ضغطت عليه بقوة..

سقطت شيبة..

نظرت إليها..أبعد هذا الشيب؟ لا أُغسل ولا أكفن..

ولا يُصلى عليّ..

هذه نهايتى..

هذا ما جمعته في الدنيا..

الله..

كلمة خرجت بقوة من أعماق قلبي..

أهذه نهايتى؟!

أين نحن غافلون.. فلا شك أني مقصر.. بل ومفرط..

ولكن خمسون سنة.. ولا أجد ناصحًا يقول لي ذلك..

كيف..

مسئولية من هذه ؟!

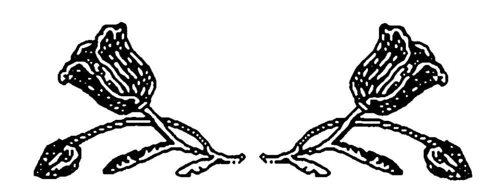
غسلت الزمن الرديء بدموع التوبة..

عاهدت نفسي أن أكون ناصحًا لكل مخطىء..

نهضت قائمًا..

سيُصلى عليَّ..

وسأُدفن إن شاء الله مع المسلمين.





١٣

الخاتمة

فلو أنّا إذا مُتنا تُركنا

لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا مُتنا بُعثنا

فنسأل بعده عن كل شيء

كانت معرفتي به بسيطة .. أحياناً متفرقة ، أراه في المسجد وأياماً كثيرة لا أراه .. أسلم عليه بحرارة وبيَّ شوق إلى معرفته والتحدث إليه ..

وحانت الفرصة ..

عندما انصرفنا من صلاة العصر .. وقفت أنا وزميلي لي خارج المسجد نتحدث ... فإذا به قادم .. سلم على زميلي ثم سلم عليَّ .. وبدا أنهما على معرفة سابقة .. فقد كانا زميلي دراسة ..

تجاذبنا أطراف الحديث وطلبت منهما موعداً لزيارتي في منزلي .. فوافقا واتفقنا على الاجتماع بعد صلاة العصر غداً ..

سألت زميلي عنه فحدثني بأنه إنسان فيه خير كثير .. فاستفسرت عن سبب غيابه عن المسجد أياماً طويلة خاصة وأنه جار للمسجد .. فأخبرني أن صديقه هذا ه رفقاء سوى في العمل فإذا اتصل بهم تراه يتغيب عن المسجد ولا يحضر للصلاة وتكثر أسفاره ..

وتحدثنا طويلاً عن أفضل الطرق وأيسر السبل لإبعاده عن رفقاء السوء.. طمأنت زميلي وقلت سأحاول إبعاده عنهم قدر المستطاع ..

ادع الله أن يعينني على ذلك وسأحتسب الأجر عند الله ..

كان الاستعداد للموعد ذلك العصر فرحت به كثيراً لعل الله أن يهديه على يديَّ ..

أخبرت بعض الأصدقاء وقلت لهم نريد أن نبعده عن رفقاء السوء وهذا

لا يتم إلا بالتعاون بيننا جميعاً وكسب مودته وحيه لعل الله أن يهديه . .

تمت الزيارة في موعدها وحصل ما كنت أريد ، فالرجل محب للخير . . قريب للنفس . .

تشعب بنا الحديث وكان بعض حديثنا عن الجو الممطر هذه الأيام وأن في منطقة كذا ربيع وأرض خضراء . .

فأشـار بأنه المنطقة الفـلانية أفـضل من جميع المنـاطق وذلك لأنها أرض رملية مغطاة بعشب أخضر وبين تلك الكثبان الرملية غدير ماء . . فاتفقنا على الخروج نهاية الأسبوع لهذا الموقع الجميل . .

وصمم أن نكون ضيوفه ولكننا رفضنا . .

قلنا له تكفي منك الفكرة ومعـرفة الطريق . . وبعد مشـاورات أصبحت الرحلة مشاركة من الجميع في كل شيء ما عدا الفكرة فهو صاحبها . .

جو ربيعي جميل ومنتزه تحفه الرمال من جميع الجوانب .

وهذه الروضة وسط الرمال . . من أجمل المناطق فعلاً .

* أصبح الرجـل يودنا ويحبنا ونشـأ بيننا الكثيـر من المحبـة والألفة . . خاصة أن الرحلات للمناطق البعيدة تعني التقارب بين الجميع . .

استمرت صـداقتنا مدة طويلة وأصبح الخروج إلى البر يـتم برون مقدمات لأننا اتفقنا على الخروج نهاية كل أسبوع . .

كما أن هناك ترتيباً لجدولنا اليـومي في الرحلة واستفادة من الوقت سواء من ممارسة الرياضـة أو من استقطاع وقت للراحة . . وكـان هناك درس بعد

صلاة الفجر يعقبه آخر بعد صلاة العصر مدته قصيرة .. وعانيت من ذلك معاناة شديدة بسبب هذا الارتباط الأسبوعي للخروج خارج البيت .

فقد كان هذا الوقت بالنسبة لي بمثابة تفرغ كامل للقراءة والكتابة .. إضافة إلى أنني ألغيت الكثير من ارتباطاتي العائلية .. أصبح صاحبنا محافظاً على الصلاة وظهرت عليه سيما الصلاح والاستقامة .

وقد كان لارتباطي الخاص به فرصة لقربه مني فقد باح لي بالكثير مما يعانيه من قبل .. وتحدث عن مراحل ضياعه ..

حيث كان يتيماً وتربى في بيت جده ..

استمرت علاقتنا هذه لمدة شهرين كاملين .. بعدها قدر الله لي أن أنتقل من بيتي إلى مكان آخر في أطراف المدينة لقربه من مكان عملي وانقطعت تلك الأيام والرحلات وحتى الاتصال الهاتفي .. لعدم وجود هاتف لديّ ..

وقد غبت بسبب ذلك فترة ليست طويلة عن هذا الشخص وحتى عندما اتصل عليه في بيته يخبرونني بأنه غير موجود ..

* سبحان مغير الأحوال فقد أخبرني بعض الزملاء ممن كان يذهب معنا أنه عاد لرفقاء السوء وعاد لبعده عن الله جل وعلا .. وأخذت الأسفار جُلّ وقته ..

فقد أهمل عائلته ورجع إلى سالف عهده فترك صلاة الجماعة وبدأ يتراجع إلى الخلف ..

بدأ يسمع الأغاني .. ترك حفظ القرآن .. ترك الشباب الصالحين وترك

الكتب القيمة . .

تحسرت على ذلك ودعوت الله لي وله . . وحثثت بعض الإخوة على معاودة تلك الرحلات . .

بعد مدة هاتفني أحد الزملاء وكان صوته متغيراً . . وأخبرني أن فلاناً هذا توفي . .

إنا لله وإنا إليه راجعون . .

ماذا جرى له فمنذ مدة لم أره ولم أجده في بيته فقد اتصلت عليه كثيراً . . قال لي إنه سافر إلى شرق آسيا مع رفقاء السوء وتناول جرعة كبيرة . .

تناول جرعة كبيرة من مادة مخدرة . .

مات هناك وحُمل في تابوت على متن الطائرة العائدة ومعه تقرير يثبت أن وفاته كان سببها تناول المخدرت .

وجِلتُ أيما وجل من سوء خاتمته وأيقنت أن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيف يشاء . .

فهو لم يستمر في توبته . .

بل رجع إلى ما كان عليه . .

إنا لله وإنا إليه راجعون . .

تقلب في حياته من الشر إلى الخير . .

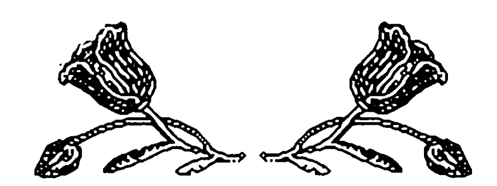
ثم عاد إلى طريق الشر وختم له بنهاية سيئة . .

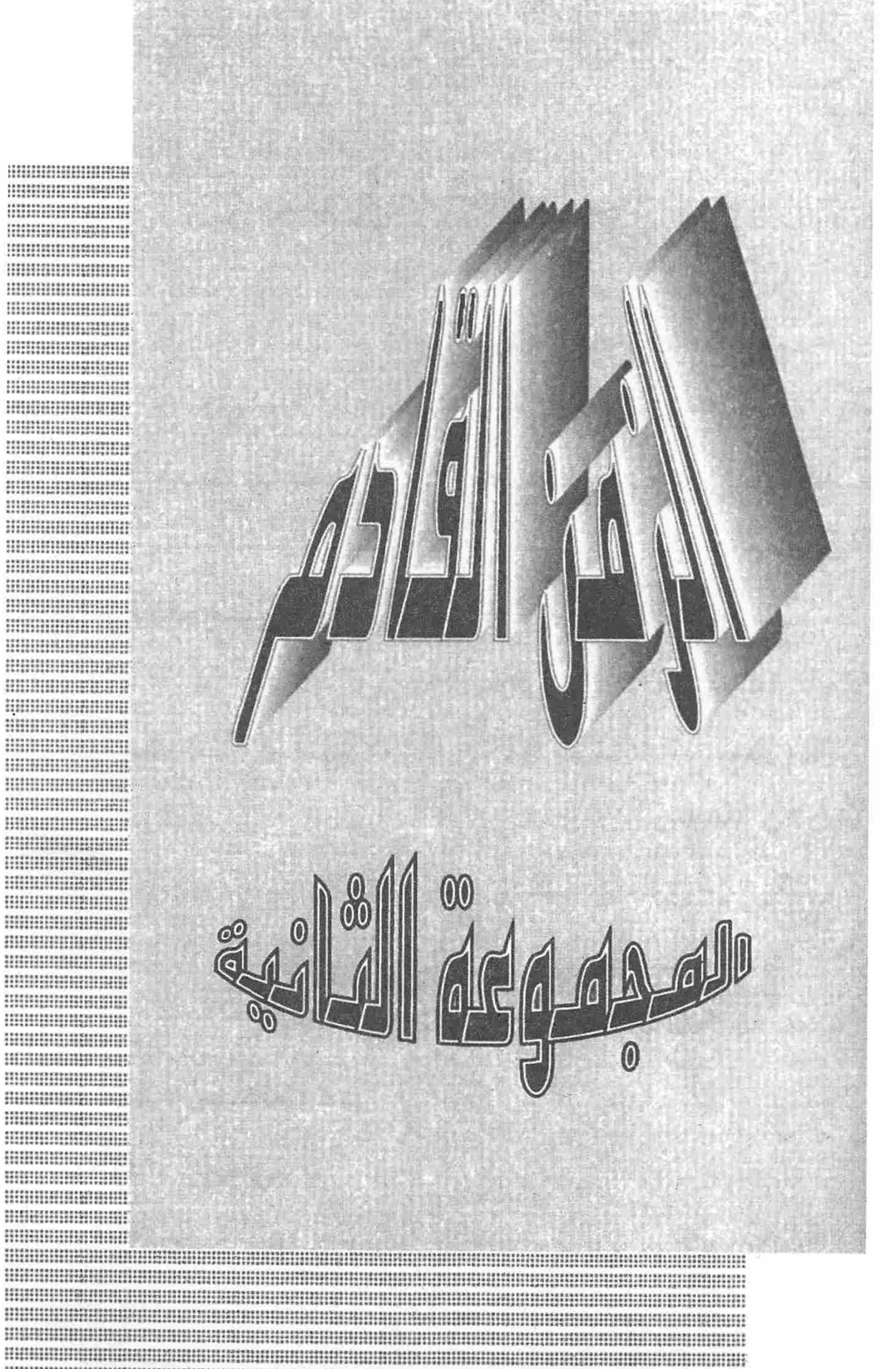
قال أهله . .

ليته مات بأي شيء إلا هذه الموتة وهذا التقرير . .

رفعت يدي إلى السماء ودعوت من كل قلبي . .

(يا مقلب القلوب والأبصار ثبت قلبي على دينك)




الزمن القادم
المجموعة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خِلفةً لمن أراد أن يذَّكَّر أو أراد شكورًا، والصلاة والسلام على من بعثه الله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا.. أما بعد:

فقد يسَّر الله صدور المجموعة الأولى من «الزمن القادم» وتقبلها القرَّاء الكرام بقبول حسن.

وامتدادًا لهذا التواصل، ولعلمي أن الأدب الإسلامي بابٌ من أبواب الدعوة، ورجاء دعوةٍ مخلصةٍ بظهر الغيب..

أقدم المجموعة الثانية من «الزمن القادم» جهدًا متواضعًا مشاركة مني ولو بالقليل من القصص الواقعية..

وأشكر الإخوة الذين تفضلوا عليَّ بالتهنئة والثناء. مقابلةً أو مهاتفةً أو مراسلة..

جعل الله أعمالنا خالصة لوجهه الكريم..

عبد الملك بن محمد القاسم

الرياض: ١١٤٤٢

ص. ب: ٦٣٧٣



ولا خـيـر في الدنـيا لمن لـم يكن له

من الله فـي دار المُقـــامِ نصـيبُ

فـإن تُعـجب الدنيـا رجـالاً فـإنه

مـتـــاعٌ قلـيلٌ والزوال قـــريبُ

صوت زوجتي بجواري..

خطواتك سريعة كأنك تبحث عن شيء..؟

وهل الدنيا إلا خطوات.. مضى أكثرها..

أمسكت كتابًا.. وبدأت أقرأ.. لكن هناك ما يشغل بالي

سألتها..

كم من وقتك يذهب دون فائدة..؟

قالت.. بالعكس فأنا مشغولة ولا وقت لدي..

لكنها.. لا تستطيع الهروب من تتابع الأسئلة..

كم ساعة تقضينها في المطبخ..؟

ماذا تستفيدين خلال تلك الساعات الطوال..؟

لو وضعتِ شريطًا لمحاضرة تسمعينها.. معنى ذلك..

تسمعين محاضرة كاملة كل يوم.

.. وأكملتُ.

مسئوليتي أن أُحضر لكِ هذه الأشرطة.

تستطيعين لو وضعتِ جدولاً لسماع القرآن الكريم..

عشر دقائق فقط كل يوم.. لربما حفظتِ القرآن..

هذا من وقتك.. ووقتك لو تعرفين ثمين..

هناك أمرٌ آخر..

رمضان شهر عبادة.. وقراءة قرآن..

تُقيمين في المطبخ منذ الصباح.. من سيأكل ما تطبخين..؟!

لا أريد إلا نوعًا واحدًا.. أو اثنين من الطعام.

وتتفرغين للقراءة والعبادة.

* وصلنا بيت القصيد.. أشرتُ بيدي.

اجلسي.

سؤال يمر بذهنى كلما اجتمعتِ مع الجيران.

ماذا في هذه الاجتماعات الأسبوعية.. وربما اليومية ؟!

ألم تسمعى قول الله تعالى: ﴿**ما يلفظ من قولٍ إلا لديه رقيبٌ عتيد**﴾.

كل شيء مكتوب حتى التبسم.. كما قال الإمام أحمد.

يُسأل الإِنسان فيم تبسمت يوم كذا..

تعلمين.. إذا طال المجلس كان للشيطان فيه نصيب..

بإمكانك أن تكوني داعية الحي..

فقط ابدئي..

ولا تنسي.. ما يناسب أعمارَهم ويصحح أخطاءهم..

استعيني بالله.. وسترين ما لا تتوقعين من الخير على يديك.

فقط ابدئى.

رَفعتْ رأسها.. وقالت.

أنا امرأةٌ مُسالمة.. لو تعلم أنني في مجتمعات النساء لا أغتاب أبدًا.. لصدَّقت قولي..

أجبتها صحيحٌ ما تقولين.. ولكن سماع الغيبة قبول.

والقبول إجازة وموافقة.. بل وإعانة..

أعدت عليها تكرار المحاولة السابقة.

ماذا تقولين يا داعية الحي..

أنت متفائلٌ جدًا.. تُهون الأمور وتُبسطها.. لا تعرف مجتمع النساء.

الأمر ليس بهذه السهولة.

كيف أُعد محاضرةً.. ولست مؤهلة لذلك..

ثم إنني أخجل ولا أستطيع التحدث أمام جمعٍ من النساء.

ولربما.. وضعت نفسي في موقف محرج..

قطعت حديثها .. توكلي على الله.. واحتسبي الأجر..

لا عُذر يبرر ترك الدعوة..

الكتب متوفرة.. والأشرطة الإسلامية موجودة..

اقرئي عليهم موضوعًا محددًا..

ولكِ أن أُعَّد المحاضر الأولى إذا أحببتِ.. عليكِ فقط قراءتها..

ألا تستطيعين..؟!

* في يوم زيارتنا.. شد نساء الحي الرحال..

كالعادة تسبقهن فاكهة النساء.

فكرتُ كثيرًا.. ودعوت الله أن يعينني.

خطرت في بالي فكرةٌ جديدة.. سأنفذها حال اكتمال الجميع..

بدأت أنظر في عيونهن.. أقرأ ما يخبئن.

تمهلتُ.. وأرجأت تنفيذ الفكرة حتى نهاية الزيارة..

سأُراعي كل شيء.. رغبة في كسب ودهن.. ومحبتهن.

وحتى لا أدع مجالاً لتعليقاتهن.

بل إنني أقنعت نفسي منذ البارحة.. هذا عمل لوجه الله.

ثم نظرت.. أكرم الخلق عليه الصلاة والسلام..

كيف بلّغ الدعوة..؟ ماذا تحمل في سبيل ذلك..؟

حوصر في شعب بني عامر ثلاثة أعوام..

رُجم وطُرد من الطائف..

هاجر من أحب البقاع إليه..

كُسِرت رباعيته وشُجت جبهته الشريفة يوم أُحد..

تعرض للقتل مراتٍ عديدة..

صبرٌ عظيم.. وجهادٌ متصل..

لم يتوقف أمام العقبات.. ولم تُثنه الصعوبات.

وأنا.. ماذا سأواجه..؟ ربما كلمة.. أو ضحكة.. أو..!!

عاتبت نفسي.. ماذا سأواجه..؟

في نهاية الزيارة..

استجمعت قواي.. دخلت عليهن..

واثقة من نفسي.. أحمل ورقة في يدى.

هذه ورقةٌ وزعت في المسجد عن فضل الأيام المقبلة.

فضل أيام عشر ذى الحجة.. وما يستحب من العمل فيها..

لشدة دهشتي.. لم يكن هناك شىء مما توقعته.

بل أنصت الجميع.. بلهفةٍ وشوق.

كان في نيتى.. أن أقرأ على عَجل..

ولكن لما رأيت من التجاوب الطيب.. تمهلت في القراءة..

حتى قرأتها كاملة..

قالت إحداهن بتعجب..

كل هذا في فضل عشر ذى الحجة..؟

كنت أظن أنه موسم للحج فقط..!

ترددت الدعوات منهن لي.. احتفالاً ببداية موفقة..

معلنةً نجاح الخطوة الأولى..

حمدت الله كثيراً.. وتأكدت أن زوجي قال الحقيقة..

وأنه كان واقعيّا أكثر مني..

عندما أخبرته.. نظر إليَّ بفرح..

هذا ما كنت آمله فيك.. يا داعية الحي..

* قبل موعد الزيارة الثانية..

الكتب كثيرةٌ.. ولكن نجاح الخطوة الأولى يلاحقني..

احترت.. ماذا سأختار..؟ قررت أن أبدأ بالتوحيد..

قرأت عليهن أربع صفحات عن الكهانة والسحر..

وعندما وصلت إلى حديث الرسول ﷺ **«من أتى كاهنًا فصدَّقَه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد»**.

لَمحتُ بعض العيون تتحرك.. لم تكن تعلم أن الأمر هكذا..

القبول والتشجيع.. جعل الأمور تستمر.

في الزيارة التالية قرأت لهن عن الصلاة..

وفي زيارة أخرى قرأت لهن أحكام الطهارة..

الكثير منهن يجهلن أمور العقيدة ويتهاونَّ فيها..

أما أحكام الصلاة والطهارة..

فالجهل ضاربٌ أطنابه في حيِّنا..

* في إحدى الزيارات.. كنت أكثر جرأة..

قرأت لهن كتابًا عن الاحتضار..

شدته.. وغُصَّتِه.

وما يعانيه المحتضر عند موته..

تحاملت على نفسي..

تمالكت أعصابي..

وحبست دموعي..

ولكننى في النهاية.. لم أستطع..

* بعد شهور عديدة.

لم يعد للغيبة في مجلسنا مكان.. أصبح الذكر والتسبيح ملازمًا لنا.

كل امرأة أصبحت داعية داخل بيتها ومجتمعها..

قررنا أن تعم الفائدة..

ويكون هناك درس أسبوعي بعد المغرب لمن لم يحضرن معنا..

التغير الكبير والسريع.. جعلني أطرح سؤالاً على زوجي.

في مدة وجيزةٍ يكون هذا الخير الكثير.

قال.. أوتعجبين..!! الناس على الفطرة.

يبحثون عمن يساعدهم ويعينهم..

ولكن دعيني أسألك.

هل تبرأ ذمتكِ.. لو لم تفعلي ذلك..؟

ناديت بصوتي..

* بقيت ذِممُ الأُخريات..

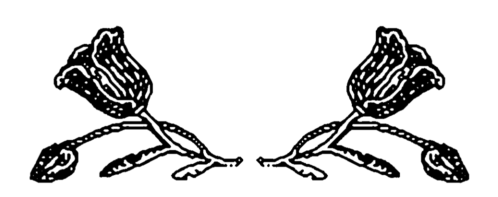
لو أن كل متعلمة أصبحت داعية الحي..

واستجابت لدعوتي..

فقط ابدئي..

فقط..

ابدئي.





قال إبراهيم التيمي ...

إذا رأيت الرجل يتـــهـاون في التكبـيـرة الأولى فاغسل يديك منه.

للغربة في دارنا سكن . .

أهربُ كثيرًا . . أحاول أن أنسى .

في حديقة المجمع الخلفية . . سألتني جارتنا . . قلت لها . . مسلمون .

قلتها على عجل . . خجلاً من نفسي . . وخوفًا من أسئلةٍ أُخرى .

نحن هنا أناس معزولون . . لا نعرف أحدًا . . ولا نرى أحدًا . .

نسمع أن هنا مسجدًا . . ونرى منارته حين مرورنا . . ولا ندخله . .

حتى في الأعياد لا نأتي إليه . .

أيامنا تحولت مع أيامهم وأعيادنا أعيادهم .

باختصار . . يطلق علينا مسلمون . . تجاوزًا . .

لا صلاة . . ولا عبادة . . لا شيء يوحي بالإسلام في منزلنا . سوى سجادة صلاةٍ معلقة في المجلس . .

ومع مرور الأيام بدا لزوجي أن يغيرها . .

كيف نعيش . . زوجي رجلٌ عملي . . ومنظم .

يحب عمله . . يتفانى في دراسته . .

يطغي الجو الرسمي على المنزل وعلى تعاملنا . .

يريد كل شيء في وقته . . حتى لا تضيع دقيقة . .

أما ابني « . . . . » فليس له من اسمه نصيب .

لا يعرف عن الإسلام شيئًا . . ولا يعرف حتى الشهادتين .

من ربك..؟ ما دينك..؟ من نبيك..؟..

لم تردد في منزلنا أبدًا.. أدخلناه مـدرسةً مع أطفـال الجـيران.. وتركنا مدرسةً لأطفال المسلمين..

ما تبـقى من وقتـه. حرصنا فيـه على تعلمه للغـةِ الإنجليزية رغم صـغر سنه..

مشاهدة التلفاز والفيديو.. خروجه مع أطفالهم..

هذا جهدنا نحوه.

صلتنا بالطلبة هنا منقطعه.. واتصالنا ببلادنا متقطع.

ربما طرقنا هاتف يخبرنا بموت فلان.. أو بزواج قريب..

في غربتنا تحملت مسئولية كل شيء..

شراء ما نحتاجه وحتى تسديد الفواتير..

يُهون حياة الغربة.. طفلي.. وشيءَ من فرحة العودة..

رغبتي في زيارة الأهل لا حد لها.. ولكن..؟!

* مكالمة طويلة من والد زوجي أتت..

وأصر على أن نزورهم هذا الصيف..

وكلما طالت المكالمة فرحت بذلك.. لعلمي إلحاح والده..

بعد أعذارٍ واهية.. أجابه زوجي.

سيأتون بدوني.. لديَّ ما يشغلني..

وضع سماعة الهاتف.. انتظرته يقول شيئًا.. ولكنه كان متوترًا..

بعد تململٍ قال..

أصر والدي.. وأنا لا أستطيع الذهاب.. وقتنا ضائع بين.

ذهابٍ وعودة.. قلت له.. سنتان لم نذهب..

قال بسرعة.. اذهبوا أنتم.

رتبت حجزي.. حزمت حقائبي.. سأغادر مدينتي إلى العاصمة..

أمكث فيها ثلاثة أيام.. أحتاج إلى كثير من الهدايا..

في الطريق فرح ابني..

سنذهب إلى فلان.. وفلان.. وعدّد الكثير من الأسماء..

التي لم تغب عن ذاكرته.. وعندما دخلنا المدينة سأل عنهم..

قلت.. ليس الآن.. بعد ثلاثة أيام..

في هذه المدينة تتذكر الوطن.. السياح في كل مكان..

السُمرة تعلو الوجوه.. وتُرى العباءة في الأسواق..

فرحت بهذا القرب من الوطن.

بدأنا نقترب..

يومٌ أو يومين ونحن هناك.

في اليوم الأخير لنا هنا.. بعد أن انتهيت من شراء ما أحتاجه.

ذهبت بابني إلى الحديقة.

البط قريبٌ جدّا.. والحمام يلامس يدك..

الناس في كل مكان.. والأطفال.. يمرحون.

بدأ ابني يرمي ببقايا الأكل إلى البط حتى اقتربن.

على كرسيّ جلست وحيدة.. وكان بجوار ابني طفل يحادثه..

ما أسرع المعرفة.. إنه صفاء القلوب..

ناديت ابني باسمه..

وأتت بدلاً عنه أم الطفل الذي بجواره..

سلَّمت وهشت ورحبت..

سائحةٌ مثلي..

قلت بفرح.. لا بل مغادرة..

كالطفلة أحتاج إلى من يحادثني..

امتدحت المكان وفرحة الصغار. ثم دعتني لشرب الشاي معهم..

وسط أرضٍ خضراء.. يتوسطها الشاي والقهوة..

عَرَّفتني.. هذه والدتي.. وهذه أختي.. وهذه زوجة أخي..

ما شاء الله.. عائلة كاملة..

أنست بالحديث معهن.

قادمٌ من بعيد.. ينظرون إليه.. ويمازحون..

أقبل.. تسبقه عصا في يده.. هذا والدنا..

سلَّم.. ولم يجلس.. ولكنه رفع صوته..

لا نسمع أذانًا ولا إقامة..

دعا لبلاد المسلمين دار خير وصلاة..

نادوا فلانًا.. وذهبت إحداهن تبحث عن الطفلين..

أسرع ابني وجلس بجانبي.. أما الطفل الآخر.. فلعله اعتاد الأمر.

وضع سجادة.. ووقف بجواره.. وكبَّر للصلاة..

مشدودةٌ عينا ابني.. وهو يرى ذلك.

وما إن ركع.. ورفع من السجود.

حتى وقف.. وقال بصوتٍ عالٍ.. فَرِحًا..

يصلي.. مثل بابا عبد العزيز.

سألتني والدتهم.. ما شاء الله..

أبوه اسمه عبد العزيز..؟

أشحتُ بوجهي عنها.. وأنا أُخفي عينيّ..

أسندت رأس ابني إلى صدري..

ما أكبر الجريمة في حقك..

أشرت برأسي أن.. نعم.. عندما أعادت السؤال..

* ماذا أصابني..؟

إعصارٌ هزَّ أعماق قلبي..

لم ير والده يصلي قط..

عبد العزيز.. جده..

أحسستُ أنها عرفت ذلك..

تمالكت نفسي..

نهضت واقفة.. أحمل هم السنين الماضية.

ودَّعتُ وداعًا كئيبًا وأنا أقول..

لم ير أباه يصلي أبدًا..

وكأنها تردد معي..

بل رأى جده..

بل رأى جده..

مع دخولي غرفة الفندق..

توضأت.. وصليت..

* في مساءٍ متأخر..

في بيت والدي..

لم يعد للفرحة بالوطن معنى..

منذ أن وصلت لم يفارقني صوت ابني..

سأقول لكِ الحقيقة.. أنتِ أختي..

تمهَّلي علي..

الأمر ليس كما تتوقعين.. أكبر مما تتوقعين..

بكيت.. ورويت لها ما حصل.

لم تدعني دمعتي أكمل..

قالت بتنهدٍ.

إنا لله وإنا إليه راجعون.

قرَّبت ابني.. مَسحَت على رأسه..

وقالت..

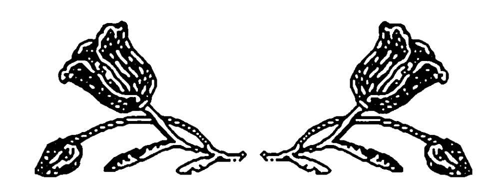
«العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر»

هذا حديث الرسول ﷺ..

هل تقبلين أن تكوني كافرة..؟

هل تقبلين أن تتزوجي كافرًا..؟

هل تقبلين..؟!





٣

دمعة في فرح

قال أحمد بن حرب..

إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار .

امتلأت الغرفة بالمهنئات..

أنظر إلى زميلاتي وقريباتي.. الكل يُسلم.. ويبارك..

بارك الله لكما وبارك عليكما.. وجمع بينكما في خير..

ويدعو بالتوفيق والذرية الصالحة.

بعد دقائق..

جلست وحيدة أترقب القادم.. سقطت من عيني دمعة.

عندما تذكرتُ أُمي وهى تدعو لي بالزوج الصالح.

كأنني في حلم.. رجعت بالذاكرة سنين طويلة..

صباح ذاك اليوم..

أين أمي..؟ أين ذهبت...؟

ارتفع صوتي أطول من هامتي.. فأنا ابنة خمس سنين

أعدتُ السؤال.. أين أُمي..؟

كانت الدموع .. الجواب

هناك من أضاف.. بصوتٍ ضعيفٍ.. قطعه البكاء

ذهبت إلى الجنة إن شاء الله..

لا أعرف في ذلك اليوم.. من أبكى الآخر..؟

أنحن أنا وأخي صاحب ثلاث السنوات.. أم بكاء من حولنا..؟

أمسكت بيد أخي نبحث عن أُمنا

تعبت أقدامنا من الجري هنا.. وهناك..

صعدنا إلى الدور العلوي..

طرقنا أبواب الغرف جميعًا.. ذهبنا إلى المطبخ..

ورغم التعب.. لم نجدها..

عندها.. تأكدتُ أن أمي ليست في المنزل.

ضممتُ أخي إليَّ.. وبكيت

من التعب والإرهاق غفونا..

بعد ساعة أو ساعتين.. أمسكتُ بيد أخي.. لنعيد البحث..

لم نجدها في المنزل.. رغم كثرة النساء

لقد كانت ملء السمع والبصر.. ولكن أين اختفت..؟

بعد صمت طويل.. ووقوفٍ مستمر.. تذكرتُ بفرح..

* هناك مكان لم نبحث عنها فيه.. إنه ظل الشجرة..

كانت تُحب ذلك المكان.. بسرعةٍ أجري

تعبنا من نزول الدرج.. وسقط أخي من شدة جذبي له..

ولكننا في النهاية.. لم نر سوى الشجرة..

نظرت أعلى الشجرة.. وبقايا زرعٍ كانت تُحبه

ولكن أين أُمي..؟

فجأة..

تعالت الأصوات.. رأيتُ الرجال وقد تنادوا

أطرقت سمعي.. وأشخصت بصري..

لحظاتٌ من الحركة السريعة..

مروا من أمامنا يحملون شيئًا على أكتافهم

قلت لأخي حين سألني.. ما هذا..؟

قلت ببراءة الأطفال..

هذا شيء ثقيل.. فالكل يشارك في حمله..

لم أكن أعرف أن تلك المحمول.. هي.. أمي..

وإلا لأمسكت بها.. ولم أدعها تذهب..

اختفي الرجال..

هدأت الأصوات.. وساد الصمت..

جلسنا نلعب في التراب بطمأنينة..

في ظل الشجرة.. كعادتنا عندما تكون أمي بجوارنا..

هذا أول يوم نخرج فيه إلى الحديقة بدون حذاء..

نعطش.. فلا نجد الماء..

أقبلت إحدى قريباتي وأخذتنا معها إلى الداخل..

* في صباح الغد..

بدأنا مشوار البحث في كل مكان..

استجمعت قواي.. قلت لأخي وهو يبكي حولي..

سترجع أُمي.. وستعود.. وستعود

هبت جدتي مسرعة عندما ارتفعت أصواتنا بالبكاء

ضمتنا إلى صدرها

ما زالت أتحسس دمعتها التي سقطت على رأسي..

كلما شاهدت أُماً قبلتها.. فيها رائحة أمي..

تذكرت يومًا.. أنها قالت لي عندما أغضبتها

سأذهب.. وأترككم..

ما زلتُ أتذكر حين أتينا لزيارتها في المستشفى..

بجوار سريرها.. حملني أبي.. وقال لها.. هذه أروى

ضمتني وقبلتني.. ثم قبلت أخي..

تساقطت دموعها وهي تضغط على يدي الصغيرة.. وتقبلها بقوة

كل يوم يطرق سمعي.. آخر صوتٍ سمعته منها..

أستودعكما الله الذي لا تضيع ودائعه..

ثم أجهشت بالبكاء.. وغطت وجهها.

أخرجونا من غرفتها.. ونحن بكاءٌ.. ودموع..

بعد رحيلها بدأنا.. رحلة التنقل

رحَلتُ.. من دار كان في فيها أبٌ وأمٌ.. وأخ..

رحَلَتْ ونحن رحلنا..

بعد خمس سنوات..

رجعتُ إلى دار أبي.. قادمة من بيت جدتي..

أنا.. وأخي..

وغـــائبُ الموتِ لا ترجـــون رجـــعتـــه

إذا ذوو غـــيبـــةٍ من سفـــرةٍ رجـعـــوا

امرأةٌ في بيت أبي..

قال أبي: هذه أسماء.. سلِّموا عليها..

ليست أُمي.. لكنها نِعْم الزوجة لأبي..

اهتمت بتربيتنا تربيةً صالحة.. حرصت على متابعة دراستي..

بدأت تحثني على حفظ القرآن.. اختارت لي الرفقة الصالحة..

هيأت لي ولأخي.. ما نريد.. بل أكثر من ذلك..

أحيانًا كثيرة نُغضِبها.. لكن رغم ذلك..

كانت المرأة الصبور.. العاقلة..

لم تُضيِّع دقيقة من عمرها بدون فائدة..

لسانها رطبٌ من ذكر الله.. جَمعت بين الخُلُق والدين

ملأت فراغًا كبيرًا في حياتنا..

هذا هو تفسيرها للمعاملة الطيبة.. عندما سألتها فيما بعد..

قلت لها.. أنتِ تختلفين عن زوجات الآباء

فأينَ الظلم.. وأين المعاملة السيئة؟!

قالت أخاف الله.. وأحتسب الأجر في كل عملٍ أقوم به..

أنتم أمانة عندي.. لا تعجبي..

حتى في ترتيب شعرك أحتسب الأجر..

ثم يا أروى.. كم تحفظين من القرآن..؟

أليس لي أجرٌ إن شاء الله في ذلك..

أليس لي أجرٌ في تربيتك التربية الصالحة..

كل ما عملته.. ابتغاء مرضاة الله.. وأضافت..

كما أن الإنسان يطلب الأجر والمثوبة في العبادات كالصوم والصلاة..

فإنه يطلبها في المعاملة..

المسلم يا بنيتي مطالبٌ بالمعاملة الحسنة..

قاطعتها..

ولكننا نتعبك.. وقد نضايقك..

يا أروى.. في كل عمل تعبٌ ونصب.. الجنة لها ثمن..

تعلمين أن في الصيام تعبًا وفي الحج مشقة..

والله سبحانه وتعالى يقول **﴿فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره * ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يره﴾**

ما ترينه حولك من ظلم زوجات الآباء لن يمر دون حساب..

بل حسابٌ عسير..

ما ذنبُ يتيم يُظلم.. وصغيرٍ يُقهر

الظلم ظلماتٌ يوم القيامة

قلت لها.. والعبراتُ تخنقني..

هذه دعوة أمي رأيتها في حُسنِ معاملتك لنا..

فالله لا تضيع ودائعه..

* فجأة..

طُرِق الباب..

دخَلت زوجة أبي.. سلَّمَت.. وباركت

قبلتُ رأسها.. ولها عندي أكثر

مثال المرأة المسلمة

قالت.. ودمعةٌ منها تُودّع..

لا تنسي أن تحتسبي عند الله كل عملٍ تقومين به..

ثم أضافت على عجلٍ لا تفارقه الابتسامة..

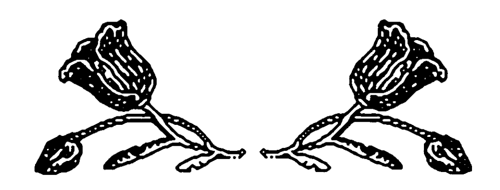
لقد حفظتِ حديث الرسول ﷺ **«إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها.. ادخلي الجنة من أي الأبواب شئتِ»**..

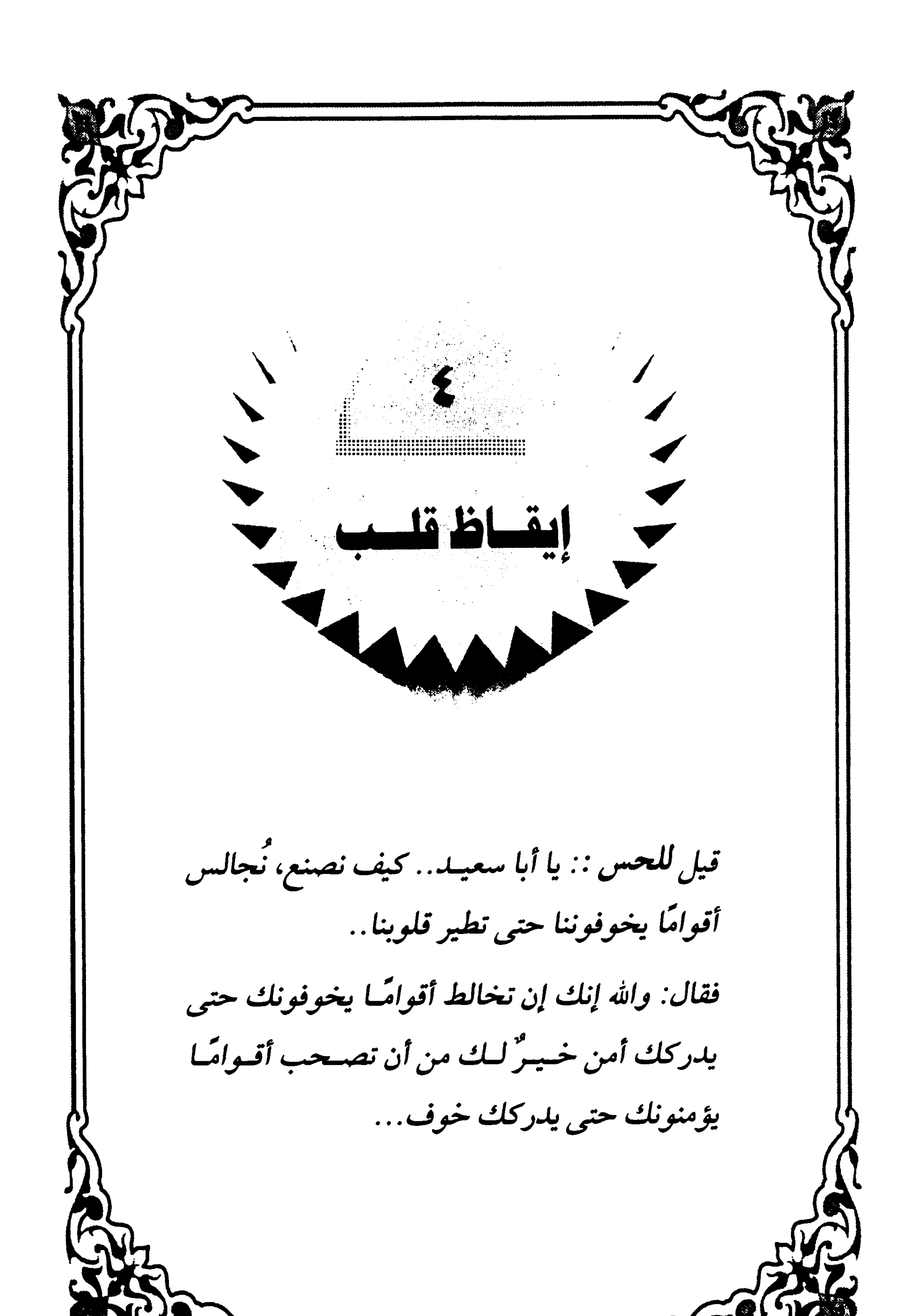
والآن.. جاء دور التطبيق..

قلت في نفسى..

ما أخطأ أبي حين تزوج امرأة صالحة..

ما أخطأ أبي حين تزوج امرأة تخاف الله..





٤

إيقاظ قلب

قيل للحسن :: يا أبا سعيد.. كيف نصنع، نُجالس أقوامًا يخوفوننا حتى تطير قلوبنا..

فقال: والله إنك إن تخالط أقوامًا يخوفونك حتى يدركك أمن خيرٌ لك من أن تصحب أقوامًا يؤمنونك حتى يدركك خوف...

تتحدث.. وحديث الموت على لسانها..

فلانٌ كذا.. ومات.. وفلانٌ.. ومات..

في لحظة صفاء.. سألتُها..

أما تعبتِ من ترديد حديث الموت

قالت بلطف.. كفى بالموت واعظًا..

هاتفتها يومًا.. سنزورك نهاية الأسبوع ولكن بشرط..

أن لا تتعبي نفسكِ

قاطعتني.. التعب لأجلكِ راحة.. لك مَحبةٌ في القلب..

أكملتُ شرطي الآخر..

قلت.. ولا تتحدثين عن..

سبقتني وقالت.. الموت

وافقت بعد حديث متبادل يتخلله الفرح

وأكملتُ..

إن متُّ فلا تروي قصتي.. كان جوابها

قـد قلت إذ مـدحـوا الحـيـاة فـأكـثـروا

في الموت ألـف فـضـــيلةٍ لا تُعـــرف

أخبرت زوجتي بموعد الزيارة..

فرحَت وأنا أخبرها

ابتَسمتُ وقلت.. اشترطت عليها أن لا تتحدث عن الموت

والمؤمنون عند شروطهم..

قالت بحماسةٍ واضحة.. الشرط لك.. أما أنا.. فلا..

كلما زُرْتُها شعرت أنني أستعيد نشاطي في العبادة..

لعل الله يوقظ قلبك..

ننسى.. وننسى.. حتى تُذَكِّرنَا..

انظر إلى عملها.. لتعرف فائدة تذكر الموت

في لحظات السكوت البسيط.. تُسبح وتستغفر

تصلي قيام الليل أكثر من صلاتي وصلاتك وهي مرهقةٌ مريضة

لا تغتاب أحدًا.. ولا تبتسم إلا في حق..

إذا رأت غير ذلك ردت ردًّا جميلاً أو خفضت رأسها..

تعمل في صمتٍ.. ولا تتحدث..

لم تقل يومًا.. إنني فعلت.. وفعلت

تواضعٌ عجيب وإخفاءٌ للعمل..

أينما كان الخير بحثت عنه.. ودَلَّت عليه

في زيارتنا..

النظرات تُذكِّرُ بالشرط.. ووَفَّت وإن كنت مازحًا..

أكرمتنا أكرمها الله..

ورفعت منزلتنا أنزلها الله مع النبيين والصديقين والشهداء..

قالت عن زوجها

إذا نسى قلمًا قد أتى به من المكتب.. أو استعاره من زميل له..

كتب ذلك في ورقةٍ صغيرة ووضعها في صالة المنزل

تبرئة لذمته.. ورداً لحق

عرفتُ أن ذلك استعدادًا لطارقٍ يطرق فجأة.. ويأخذ بغته..

كان ذِكر الموت بعيدًا يلوح.. رغم شرطي..

تعجبْت!! في قلم واحد يكتب ذلك!!.. أين أنا منه..؟

لو روى لى هذا الأمر غيرها.. لم أصدق بسهولة..

أو حسبت أنه ورعٌ يروى من القرون الأولى..

سألتها يومًا مازحًا..

كم تصلين من ساعةٍ قيام الليل..

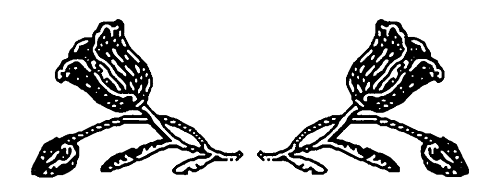
قالت.. أنت تعرف أن الوتر سنة مؤكدة لا ينبغي لأحدٍ تركه.. ومن أصر على تركه رُدت شهادته

تَبَسَّمت. . وأضافت. . أنت تستكثر كل شيء.

كان أحدهم إذا بلغ الأربعين طوى فراشه. .

هذا مع صلاحهم فيما مضى من أعمارهم.

أين أنت...؟!





الثبات

صبرًا جميلاً ما أسرع الفرجا

من صدَّق الله في الأمور نجا

من خشي الله لم ينله أذى

ومن رجا الله كان حيثُ رجا

منذ ستة أشهر بدأت أستعد لزواجي..

خطوةٌ أولى..

بحثت عن ذات الدين.. لم أجد صعوبة في ذلك..

أُثني على المرأة خيراً.. وذُكرت عندي بذكرٍ حَسن..

تقدمت لوالدها.. شيخٌ وقور جاوز الستين من عمره..

لم أتعجب من طريقته في الحديث وتبسطه معي..

ولكنى تعجبت عندما سألني.. من إمام مسجدكم..؟

لعله بدأ السؤال عن معرفتي من هناك

استخرت الله في أمر هذا الزواج.. صليت صلاة الاستخارة..

وجدت الارتياح التام

وعندما استقرت الأمور.. وعلمت بالموافقة

بقي هناك أمر.. قدمت خطوة.. وأخرت أخرى

كيف سأفاتح الشيخ في ذلك

لم أخش من عدم الموافقة.. لكن جهل البعض بالحكم الشرعي في ذلك ربما يُحرجُك..

عقب الشيخ على طلبي

هذا أمر حث عليه الرسول ﷺ بقوله: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»

وخير للجميع اختصار الطريق..

من الآن ينتهي كل شيء.. خير من أن يكون هناك شيء غدًا..

لم يقف الأمر هنا.. بل بدأ شهر العمل.. خطوات متلاحقة..

شهر التأثيث وما يتبعه من تجهيز..

لا أعرف الأسواق.. ولا إلى أين أذهب..

ولكني اختصارًا لوقتي.. فضلـت الشراء من الأماكن القريبة.. وإن كان الثمن أغلى.. فوقتي أثمن عندي من زيادةٍ في المال

كلما تعبـتُ من البحث والشـراء.. تذكرت أن ذات الدين سـتسكنه.. فرحت وهان التعب..

يومًا.. ركبت عائدًا محملاً.. تعلو محياي الابتسامة..

لكنها تزول سريعًا.. عندما فتحت المذياع..

ماذا تسمع.. جراحٌ للمسلمين في كل مكان..

أخبار القتل والتعذيب تُفزعك.. تطفئ بريق ابتسامتك

وتتقطع نياط قلبك وأنت تسمع.. إنهم يذبحون كالخراف ..

رحم الله زمانًا مضى..

عاتبت نفسي.. كيف تهنأ لك الابتسامة..

وأنت تسمع.. وترى..

أني اتجـــهت إلى الإســـلام في بـلد

تجـده كـالطـيـر مـقـصـوصًـا جناحـاهُ

اختفت الابتسامة سريعة كما أتت.. وحُقَّ لها ذلك..

فكرت كثيرًا.. تأملت واقعي..

فأنا داعية.. جُل وقتي خارج عملي الرسمي وهبته للدعوة..

وما بين الوقتين وهو قليل.. جعلته للقراءة..

أحيانًا أحتاج لساعات أطول من ساعات النهار لأنجز عملي

سؤال عريض.. كيف سأوفق بين ذا.. وتلك..؟

ولكني كلما تذكرت رسول الله ﷺ هو نبي هذه الأمة ومعلمها وقائدها..

استطاع رغم أعباء الرسالة أن يعطي كل ذي حق حقه..

فهو النبي القائد.. والمربي الموجه.. والقاضي الحاكم..

أعمالٌ لا نهاية لها..

ورغم ذلك.. كان نعم الزوج.. ونعم الأب..

كان ﷺ في خدمة أهله وكان يمزح مع زوجاته بما يدخل السرور إلى قلوبهن ويقص لهن القصص.. ويستمع إلى قصصهن

بل سابق ﷺ عائشة رضي الله عنها.. سبقته مرة.. وسبقها أخرى..

تضاءلتُ عند نفسي..

تذكرتُ من يهمل في حقوقه الزوجية.. ويبرر ذلك بضيق الوقت.. وكثرة المشاغل

تذكرتُ من إذا دخل بيته كأنه أسدٌ يزمجر وسيف مصلت..

لا يهنأ أهله بعيش حتى يغادر المنزل..

هواجس خطرت.. سرعان ما تبددت..

محاضرةٌ بسيطة.. مسابقة ثقافية للصغار

دفٌ ونشيد للنساء..

ووزع إهداءٌ لكل من شاركنا الفرحة كتابٌ.. وشريط..

نعم المرأة.. أدبٌ وخلقٌ.. وعفاف

لا تسمع صوتها إلا همسًا.. ولا تملأ فراغها إلا تسبيحًا

ما أبديتُ أمرًا.. إلا قدَّمت رغبتي ورضاي..

ما سألتها عن شأنٍ.. إلا قالت..

ما السُّنةُ في ذلك؟!

لم يخطر ببالي أن هذه المرأة الوادعة.. الهادئة

ستكون غير تلك..

ذات يوم.. أُرهقت أعصابي.. وكُدِّرَ خاطري..

وأحببتً أن أسمع رأيها.. فهى زوجتي.. وأم أبنائي

أصواتٌ هادئة.. ذلك هو حديثنا..

وواصلتُ.. بعد مقدمة طويلة

تعرفين أن باب الدعـوة طريقٌ طويل.. وشاق محـفوف بالمكارة.. ربما آخذ من وقتكِ.. وأُقصرِّ في حقكِ..

بل ربما.. وربما..

لم تدعني أُتم حديثى..

كالجبل الواقف قوةً وثباتًا.. تحدثت..

وقتي.. إن كان للدعوة فقد وهبتك إياه..

وهل رأيت دعوة دون مكاره ومشاق..

أين قراءتك لكتب التاريخ والسير ؟!

من الذي يُطعمنا.. ويكسونا.. أهو أنت..؟

﴿وما من دابةٍ في الأرض إلا على الله رزقها..﴾

كالسهام أصابت مقتل

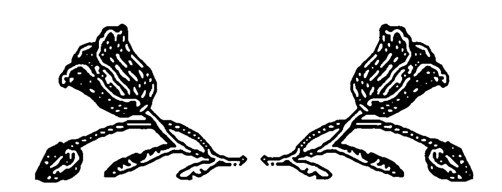
طفلٌ وأنا أسمع نثر الدُّرر

تأملت بريق عينيها.. وهي تدعو لي بالتوفيق

عند آخر كلمةٍ طرقت أذني

أسمعتها صوتي بقوة..

أنتِ امرأةٌ.. بألف امرأة..





٦

سؤال حائر

رضيتُ بالله في عسري وفي يسري

فلستُ أسلكُ إلا أوضح الطُّرقِ

الفرحةُ في منزلنا.. ولكن الحيرة تأخذني

أين أتجه.. وإلى أين أذهب..؟

على مفترق الطرق أقف..

أنهيت دراستي الثانوية بتفوق..

أى طريق أسلك.. ولأي كلية أتجه؟

فكرتُ.. معي والدي.. والدتي

كان همي.. أن أخدم الإسلام في أي مجال..

ترددتُ كثيرًا.. فكرة قديمة تجول في خاطري

كلية الطب.. ولكن!!؟

هناك عقبات ومحاذير.. كيف إذًا..؟

استخرت الله.. رددت الأمر إلى أهله..

نحن في نعمة.. جواهرٌ بين أيدينا.. وأقمارٌ تسري في ليالينا

أمسكتُ بالهاتف.. سمعت صوت الشيخ المميز..

سألتُ.. وأجاب

إذا كان لديك المقدرة فلا ترددي.. واشترط المحافظة على الحجاب

وفضلتُ أن أتخصص في طب النساء والولادة كما أشار بذلك.. عورات المسلمين يجب حفظها

توكلت على الله.. بدأت السنة الأولي بفرح لا يسعه المكان

كان همي.. هَمُّ الطبيبةً المسلمة..لم أكن الوحيدة.. هناك الكثيرات..

حفظ القرآن.. جزءٌ من نشاطنا.. الدروس والمحاضرات متكررةً

محافظةٌ تامةٌ على الحجاب.. واعتزاز واضح بالدين

سنواتُ تحصيل مرت.. سبع سنواتٍ سريعة..

كسبت فيها صُحبةً طيبة.. ورفقةً صالحة..

كان يومًا مهمّاً في حياتي..

هذا المساء.. سأكون مسئولة عن قسم الولادة..

ما إن أقبلت تتألم.. تمشي الهوينا..

احتسبي الأجر.. ولكِ دعوةٌ لا تُرد..

قلقٌ في العيون.. ولحظات انتظار طويلة

صرخ الطفل.. وأنا منهكةٌ.. مرهقة..

ولم يغب عني ما كنا نحرص عليه..

باسم الله علَيكَ.. وتابعتُ وأمهُ تنظر..

اللهم اجعله من حفظة كتابك.. وحملة سُنة نبيك

فرحتُ بمسلم يوحد الله في الأرض..

الأم.. لا تسل عن الأم

قالت بعد يومين.. تمنيت أن ابنتي طبيبة..

وأخبرتنى أن زوجها قال..

فرحتي بالطبيبة تقف عندك وأنتِ في تلك الحال..

أكبر من فرحتي بطفلي..

دعا لكِ..

ستر الله وجهها عن النار وأكثر من أمثالها..

الحمد لله.. ما ضاع جهدي

تركت منزلي في مساء متأخر.. وفي أوقاتٍ مختلفة

تحملت الكثير.. سترًا لعورات المسلمين

تعودت على حياة المستشفي رغم التعب.. ورغم كل شيء..

أستبشرُ خيرًا بما أقوم به.. ودعاءً بظهر الغيب أرجو

* يومًا خرجت من المستشفي

أخبرتني أختي أن زواج فلانة ليلة الخميس القادم

دعوت لها بالتوفيق والذرية الصالحة..

وقلت لأختي مازحةً..

إن شاء الله.. بعد عام تأتي إليَّ..

رتبتُ أموري.. لعلي أحضر الزواج

مناسبات عديدة لم أتمكن من حضورها

في تلك الليلة المُشرقة

كالعادة.. وبكل بساطة

سَلَّمَت.. أنتِ فلانة..؟

وسط زحام النساء.. ربما أخطأت

قلت لها.. لا.. أنا فلانة

ولمحتها من بعيد تسأل إحدى الحاضرات وتشير إليَّ

حدثني قلبي.. الموضوع.. ربما زواج

فرحٌ جديد في قلبي لم يطرقه منذ سنتين أو أكثر..

لم أخفِ ابتسامتي وأخبرت زميلتي..

قالت.. أعرفهم..

وزاد فرحي.. وأطمأننت..

بعد أسبوع حافلٍ بالسرور.. والأماني

تراجع بسرعة..

وأد الفرحة مبكرًا.. وقتل الابتسامة في مهدها

فأنا طبيبة..

لعل في الأمر خيراً.. والخير فيما اختاره الله

ولكن نفسي.. تقول..

هل أخطأتُ عندما حفظتُ الوصية.. وأطعتُ الأمر..

وقفت صامدة أمام كل شيء لأحفظ ديني..

اخترت أصعب الطرق

تخطيت العقبات.. صابرةً ثابتة..

أطعت الله ورسوله..

خاطبتُه بقوةٍ.. ودمعةٌ لا تسقط

غدًا أنت تفرح بوجودي عندما تأتي بزوجتك

واليوم لا تضحي بالقليل معي حفظًا لنساء المسلمين..

أين التعاون على البر والتقوى..؟

أجبنى.. نساء المسلمين..

نتركهن لمن..؟

غالبتني دمعتي..

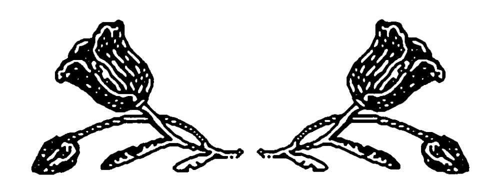
وسقطت..

ورغم ذلك.. عهدٌ عليَّ أن أخدم الإسلام

يخترق الحواجز..

سؤالٌ حائر. !!

نتركهن لمن..؟





نحن وأنت

قال أوس بن عبد الله :

نقل الحجارة أهون على المنافق من قراءة القرآن

ودعتُ أهلي.. حزِنًا لفراقهم

فَرِحًا بقدومي إلى هذه الأرض..

لأول مرة أدخل المطار.. ولأول مرة سأركب الطائرة

ستصعد بنا إلى أعلى.. وأكون معلقًا بين السماء والأرض

مشاعر متلاحقة.. وعواطف متقلبة..

زحف الخوف على قلبي..

لم يكن هناك متسع للتفكير في عملي..

أين هو..؟ وكيف..؟

ألمح خيالاً يلوح بناظري.. وأنا مرتدٍ ملابس الإحرام

هذه أمنيتي..

تحملّت من أجلها الغربة والصعاب..

يُهدِّئُ ذكرها رجف الخوف في قلبي

تجاذبتني الخواطر.. وسرتُ مع دروبٍ كثيرة

قطع تفكيري موظف الجوازات..

ناولته جواز سفري

ما هي مهنتك.. راعي غنم..؟!!

أجبته.. نعم..

بعد خروجى من صالة المطار

استقبلني صاحب العمل.. فرِحًا.. مبتسمًا..

استبشرت خيرًا..

لم ألمح سوى أنوار المدينة من بعيد.. ثم اختفي كل شيء.

الأسئلة تتوالى عليَّ.. كم سنة رعيت الغنم..؟

تعرف أمراضها وأسقامها..؟

وما أن فَرغَ من الأسئلة الطويلة والنوم يغالبني..

حتى توالت النصائح..

لا تُفرط.. ولا تُهمل.. عليك بالجد والاجتهاد

أقبلنا على خيمةٍ صغيرة.. بعدما اجتزنا طُرقًا وعرة..

هذا مسكنُك..

فَرحتُ بسعة المكان.. وبالهدوء الجميل..

خيمتي في مكان مرتفع..

ويسكن معي فيها أكوامٌ من الأعلاف والشعير..

لم تترك لي سوى ركن صغير.. ما تبقى من الخيمة كان مطبخي..

استيقظت لصلاة الفجر.. بعد نومٍ مريح..

بدأت أول يوم من أيام عملي..

نظرت إلى غنمي.. واحدة واحدة..

انطلقت أمامي.. وانطلقتُ أحمل طعامي

استويت على ظهر دابتي..

﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين * وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾

ارتفعت الأتربة على أثر سير الغنم

ونحن نسير الهوينا.. بدأت الخيمة تختفي..

التفت إليها مودعًا

موعد الإياب غروب الشمس

بعد مسير طويل.. حططنا رحالنا..

تفقدت المكان..وأطعمت الصغار

أذنتُ لصلاة الظهر

تردد صدى صوتي في الأماكن القريبة..

اطمأننتُ أن الغنم حولي.. أقمت الصلاة.. وصليت

رحلتُ بعيدًا حيث مسجدنا هناك..

تذكرت بداية حفظي للقرآن

عاد صوت والدي إلى مسامعي.. وهو يوصيني بحفظ القرآن فرصةٌ لا تعوض.. وغنيمةٌ باردة..

ليس لدي ما يشغلني.. ومَنْ هنا يُحادثني..؟!

من شدة الحر.. لم أزد على ثلاث لقيماتٍ أكلتها..

وعندما حانت العودة..

كنت قد اتخذت القرار المهم.. سأحفظ القرآن إن شاء الله

نعم.. وأنا أرعى الغنم

شكرت الله على هذا التوفيق وأن عـملي خارج المدينة.. هنا رغم شدة العيش وقسوة الحياة

لا غيبةٌ.. ولا نميمةٌ.. ولا فِتَن.. صفاءٌ في كل شيء..

ما إن تراءت الخيمة.. حتى أسرعت الخراف والنعاج

سريعًا وصلت إلى حيث الماء..

توضأت وأذنت لصلاة المغرب

هذا كان أول يوم ليَّ هُنَا.. وأيامي هكذا..

يوم الجمعة أسير على قدميَّ لأشهد الصلاة

أخبرت صاحب العمل

أني ما جئت إلى هنا إلا رغبة في أداء مناسك الحج..

ولكنه أجاب ببرود واضح.. بقي شهور.. ولم أر ذلك الحماس

تسألني..؟ هذا هو قدومى..

ولكنك تعجب كيف حفظتُ القرآن..؟

في الصباح وأنا ذاهبٌ بغنمي.. أراجع ما حفظته أمس..

وعندما يستقر بي المقام.. أبدأ بالحفظ

وإذا قفلتُ عائدًا راجعت ما حفظته في يومي.. وأكرر المراجعة صباح الغد..

يوميا الخميس والجمعة.. مراجعة لكامل حفظي..

سأله رفيقي متعجبًا..

ليس لديك مذياع.. ولا تلفاز..؟... ولا تقرأ الصحف..؟

كيف تعرف أحداث العالم..؟... وماذا يجري..؟

معزول عن العالم أنت.. هذا واقعك!!

تطوعت للإجابة.. ماذا استفدنا..؟ وماذا استفاد..؟

اعتدل الراعي في جلسته.. همومى قليلة.. وفي وقتي متسع.. يُشغلني مرض غنيمة من الغنيمات.. أو تمزقٌ في ثوبي..

هذه الأحداث الكبرى عندي

أما ولادة نعجة من النعاج فهذا الحدث العالمي..

قلت لرفيقي.. كيف ترانا على هذه الدنيـا.. نجري.. ونجري ولا نقرأ القرآن شهرًا أو شهرين..

قلنا له..

حياتك خير من حياتنا.. أنت وغنيماتك خيرٌ من دنيانا..

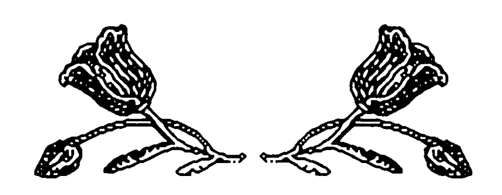
وما أن ركبنا عائدين..

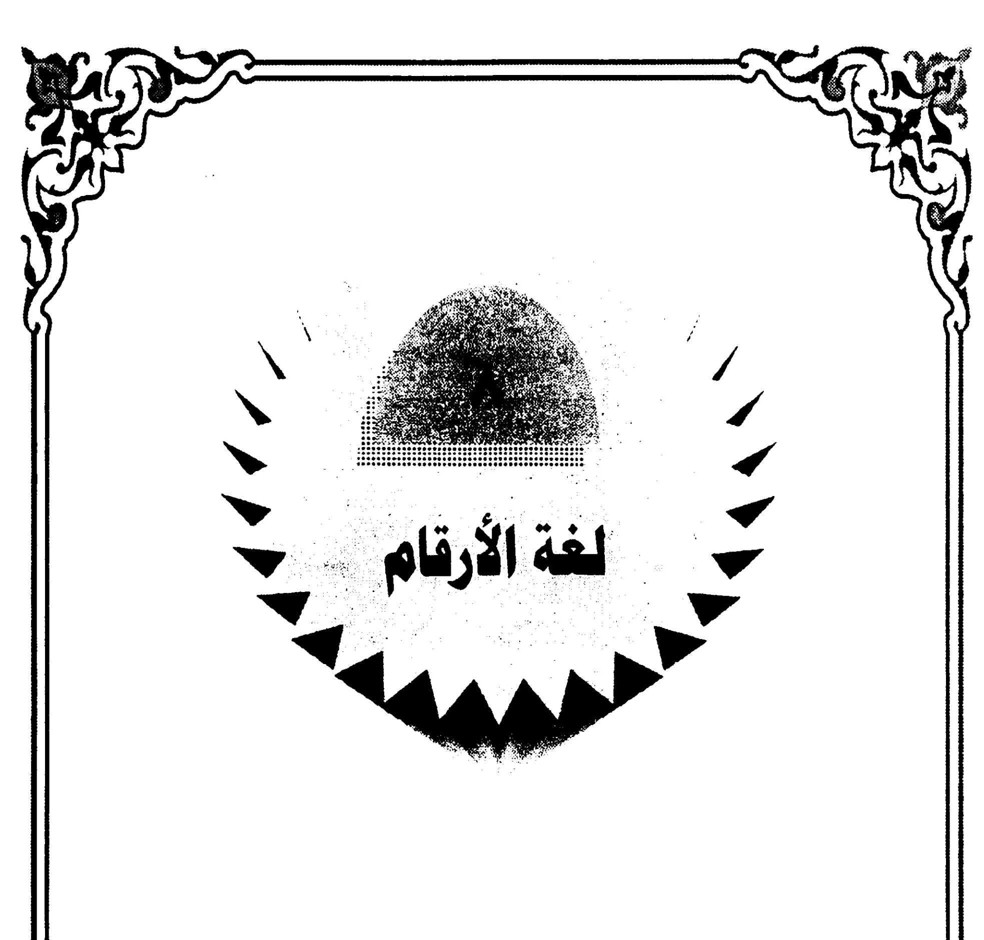
حتى وضع رفيقي يده على المذياع

وقال..

حديث الناس هذه الأيام

تمزّق في طبقة الجو العليا..!!





قال أبو إسحق الطبري ..

كان النَّجاد يصوم الدهر ويفطر على رغيف ويترك منه لقمة، فإذا كان ليلة الجمعة أكل تلك اللقم التى استقطعها وتصدق بالرغيف..

مُحدثي لا يعرف سوى لغة الأرقام

تسأله سؤالاً.. تجد الجمع والطرح أولاً.. ثم يأتيك الجواب..

في ليلة سفرٍ باردة.. ساد فيها الصمت والإرهاق

قال لي.. كم تتصدق كل سنة من مالك..؟

عجبتُ من السؤال بعد طول سكوت

ولكنه أصر على السؤال مرة أخرى.. وقبل أن أُجيب.. سألته.. لماذا..؟ وأنت تعلم أن إخفاء الصدقة خيرٌ من إعلانها كما في الحديث عن النبى ﷺ: **«سبعةٌ يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله»** وذكر منهم **«ورجلاً تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه..»**

ولكنه شدد في السؤال.. واحترت في الجواب

فكرت.. كم أتصدق في سنة كاملة..؟

سؤال يمر عبر السنة.. أيام وشهور مضت

بعد أن لاحظ طول تفكيري..

قال: دعني أُقرِّب لك السؤال

نحن الآن في منتصف الشهر..

مضى نحو أسبوعين من بداية هلال هذا الشهر

كم أنفقت في أوجه الخير والبر..؟

أجبته بسرعة وبدون تردد.. لم أنفق شيئًا إطلاقًا..

هز رأسه.. وأصاب بغيته.. وعاد للغة الأرقام وقرر بعد برهة..

أنت لا تتصدق في اليوم ولا بشق تمرة.. أرأيت كيف..؟

تعجبتُ من حسابه.. ولكنه أضاف..

أنت لا تتصدق إلا إذا وجدت فقيرًا.. أليس كذلك..؟

قلت له.. نعم..

هز رأسه.. وقال:

متى تجد ذلك الفقير المحتاج.. أو متى بحثت عن فقير..؟

ولا أقول فقيرًا فقط.. بل من أقاربك أو جيرانك..؟

كان جوابي داخل نفسي.. لم أبحث.. لا عن جارٍ ولا قريب..

قال: لو فرضنا أنك تـتصدق كل يومٍ بريال.. لأصبح مجموع ما تنفق في عام كامل ثلاثمائة وستون ريالاً..

مبلغٌ زهيد.. انتظر الجواب

قلت له موافقًا.. نعم هذا صحيح..

ولكني أعلم أنني لا أتصدق بهذا المبلغ في عام كامل رغم قلته ..

واصل حديثه.. بعد أن أكملت جوابي

باب الصدقة باب كبير من أبواب العبادة فيه سدٌّ لحاجة فقير..

وكسوةٌ لعارٍ.. ولقمةٌ لجائع.. وإغاثةٌ لملهوف.. وتعليمٌ لجاهل..

لقد وهبك الله هذا المال.. ومـرتبك يزيد على ثلاثة آلاف ريال ولكن ماذا قدمت للإسلام والمسلمين..؟

هل اشتريت كتابًا لإخوانك وجيرانك..؟

هل شاركت في بناء مسجدٍ ولو بالقليل..؟

كم شريطًا إسلاميًا أهديت..؟ كم فقيرًا واسيت..؟

مجالات الخير كثيرة.. ومتعددة..

ولكن.. أرأيت كيف نحن محرومون من هذه الأجر؟!

لماذا لا تخصص مبلغًا ثابتًا كل شهر.. مما زاد عن حاجتك ينفق في أبواب الخير..

ثم هناك الكثير تستطيع أن تقدمه.. خذ مثلاً.. وعليك الجمع..

لو استغنيت عن كأس من اللبن تشربه في اليوم لوفَّرت ريالاً كاملاً.. يكفي.. شراء وجبة كاملة لعائلة مسلمة.. لم تر الطعام من يوم أو يومين!!

لو تركت شراء ثوب واحد مما زاد عن حاجتك كل عام.. لأنفقت مبلغ مائة وخمسين ريالاً تكفي لشراء كتب في العقيدة توزع على مدارس المسلمين

زوجتك.. لو رغبت فيما عند الله..

وتبرعت بثمن شراء فستان واحد فقط كل عام.. مائة وخمسون ريالاً تكفي لتكلفة برنامج إذاعى إسلامي لمدة عشرين دقيقة.. في بلادِ الحربُ لا هوادة فيها بين المسلمين والمنصرين

أرأيت كيف فَعَلَتْ؟

ألبسها الله لباس الأمن يوم الخوف.. وكساها لباس التقوى.. وجعل ما تركته في الدنيا سترًا لها عن النار يوم القيامة..

أخي.. منزلك الذي تزينه بأنواع الزينة والكمـاليات.. ألا تسـتغني ولو مرةً واحدة عن شيء من ذلك؟

إذًا لو فرت مبلغًا يزيد على خمسمائة ريال..

يكفي لكفالة ثلاثة طلاب يحفظون القرآن الكريم لمدة عام كامل

الله أكبر.. أرأيت كيف؟

نعمةٌ جعلها الله في يدك.. فلا تمنعها عن طريق الخير..

أخلف الله عليك ما أنفقت.. ورزقك دعوة صالحة..

ترتفع إلى السماء من قلب طفلٍ مسلم يحَفَظ القرآن.. أنت ترعاه...

ابنك.. لماذا لا يكون له مشاركةٌ في الخير..

لو أخبرته يومًا أنك ستتبرع بقيمة هذه اللعبة..

لدعم المسلمين وإعانتهم

لرأيت الفرح على وجهه. فهو ابن الإسلام

بمبلغ خمسة وثلاثين ريالاً تبرعًا منه..

تقيم صلب مجلة شهرية إسلامية لمدة عام كامل.. ترفع لواء التوحيد.. وتحارب البدع والشركيات..

تكون أنت مشتركًا فيها بالدعم البسيط.. وبالاطلاع والفائدة..

رفع الله ابنك في عليين.. يوم رفع لواء التوحيد

التفت إليَّ.. وقال..

التفت إليَّ.. وقال..

أرأيت كيف.. ولا يتأثر ملبسك.. ولا مأكلك.. ولا مسكنك

أمضى خنجرًا في قلبي.. عندما أضاف

والله رأيتهم لا يبحثون إلا عن لقمة طعام واحدة..

ما زاد عن حاجتك في وجبة طعام.. يكفي عائلة كاملة لمدة أسبوع

العين تبكي من مُصَابِك أُمتي

فإلى متى يا أُمتي ننعاكِ

سكتنا برهة..

وأنا أغالب دمعة حائرة في مهجتي.. تبحث عن مخرج..

أضاف بصوتٍ غلبه التأثر..

كم فقير ستُطعم.. وكم من مُستحقٍ ستعطي ؟!

كم من باب خير ستطرق.. وكم من الأجر ستجمع ؟!

هذا بابٌ من أبواب.. لو نظرت جانبًا آخر.. لرأيت العجب!!

لو ترك السائح المسلم سفر هذا العام وتبرع بتكاليف سفره.. لأطعم وكسا قرية مسلمة.. بل وربما قريتين لمدة عام كامل..

هزَّ يده.. هناك الكثير..

تركني أسترجع لغة الأرقام مرة أخرى وأنين أطفال المسلمين يطرق أذني

أين أنتم عنا يا مسلمون..؟



الفــــرار

واتق الله فـــتـــقــوى الله مـــا
جــاورت قــلب امـــرئٍ إلا وصل
لـيس مـن يَـقـطَـع طُـرقًــــا بطـلا
إنـمـا مـــن يــتـــق الله الـــبـــطــل

كلما تجلَّت ذاكرتي ورأيتُ خيال عبد الله

رأيتُ هامةً تطاول السحاب

مَنْ قدَّم حياته ونفسه فداءً للإسلام..

في زمن.. بخل البعض عن تقديم ريال..

تُكبر في هذا الرجل كل شيء.. همته.. عزمه.. إصراره..

في زمن الخور والضعف فيه همةُ الرجال

في زمن الانحراف تجد الاستقامة..

في وجوه الناس عبوسٌ وخبث.. على محياه البشاشة والخير

في زمن الهروب.. أحب الإقدام

كثرت المُلهيات وتعددت ولكنه.. بقي الشاب الملتزم الثابت

تلمح في عينيه هم الإسلام..

لم يلتفت يمنة ولا يسرة للدنيا.. كان هاجسه رفعة هذا الدين ونصرته..

إجازته لا يقضيها إلا في خدمة المسلمين..

في زمن الشباب.. أجاب.

سألتني في حمانا ظبية

أتحب الشوق في عين صبية

قلت لا أعشق حُسنًا ظاهرًا

أو أرى الحب عيونًا نرجسية

إنما أعـــشـق صـــدراً عـــامـــراً

يحـــــمـل الموت ويـزهو بـالمنـيـــة

أدركت ســـري وقـــالت ظبـيـــتي

أنت لا تعــشق غــيــر البندقـيــة

ولأنه لم يضع بندقيته إلا منذ ليلتين قادمًا من أرض الجهاد

فرحتُ بمقدمه.. وسررت برؤيته.. أجاب بحزنٍ لفرحي..

لم يكرمني الله بالشهادة حتى الآن.. وهل الشهادة لكل من أراد..؟

مع أنني هذه المرة لم أحمل بندقيتي..

حملت كتبًا لتوزيعها هناك.. كتب التوحيد والعقيدة والفقه..

إنهم في أمس الحاجة إلى المدرسين والدعاة..

لم أجد صعوبة في توزيع الكتب.. بل الصعوبة في أن تجد من يُدرسها..

في أعلى قمة جبلية في المنطقة..

انتهينا من توزيع الكتب على غرفةٍ.. تسمى مدرسة..

أخبرونا أن الطائرات تقصف المكان.

أسلحتنا.. لا ترد هذا الحديد الطائر

أما أسلحة الأهالي فبعضها يعود للحرب العالمية الثانية.. وربما الأولى..

في وسط هدوء تُسْمَعُ فيه الهمسة.. بدأ أزيز الطائرات يقترب

أسرعنا إلى مخبأ في أحد الكهوف ونحن نردد الشهادة ونتلو القرآن

رفيقي.. إذا أراد شيئًا جذبني..

لم نعد نسمع بعضنا من شدة الأصوات

نُطل على قرى صغيرةٍ متناثرةٍ أسفل الجبل

بعضها به عشرة بيوت.. وبعضها أكثر.. يصل إلى الخمسين

بيوتٌ صغيرةٌ بسيطة.. مبنية من الحجر.. لونها لون الطبيعة..

يُرى واضحًا القصف على تلك الدور الصغيرة.. التي لا تحتاج إلى كل هذا.. فهى على وشك السقوط..

شعرنا أننا في مأمن..

وأن الأمر موجه إلى قرى معينة أسفل الوادي..

أمسكت بمنظار كان معي..

بدأت أُجيله بين تلك المساكن.. وحول الصخور الكبيرة

وربما امتد بعيدًا لأرى النهر..

يهتز وتتغير الصورة.. مع اهتزاز الأرض من حولنا..

موقفٌ تعجز عن وصفه..

شدةٌ.. وضيق..

تذكرت قول النبى ﷺ عندما سُئل.. ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد قال: **«كفي ببارقة السيوف على رأسه فتنة»**

لحظاتٌ قاسية وزمنٌ عصيب..

الأرض ترجف.. والسماء تقذف..

ونحن بينهن.. فتنةٌ.. وأي فتنة..

يمر بالبعض.. الدعة والراحة والأمن في بلده..

منهم من يرى ابنه أو ابنته الصغيرة.. تدعوه.. ليعود

فتنة الدنيا.. وفتنة الموت.. لكن المؤمن يرد بثباتٍ وقوة..

﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾

في هذا المكان..

الأحداث سريعة.. سباقٌ مع الموت..

نُكبر.. ونتشهد.. بسرعةٍ لا يقف لسانك معها..

نفسك تحدثك بأن هذه آخر تكبيرة في حياتك وآخر تشهُد..

لا إله إلا الله.. أجلت طرفي..

فإذا البلدةُ القريبة بدأت تُقصف

ارتفعت أعمدة الدخان مختلطة بالأتربة..

* في الطرف الشرقي من البلدة..

منزلٌ وحيد.. غرفة أو غرفتان صغيرتان..

يبعد عن بيوت القرية خمسين مترًا إلى الجبل

ما إن بدأت البلدةُ تهتز.. والمنازل تسقط

حتى خرجت من هذا المسكن

امرأة.. وأي امرأة

عاريةٌ.. لا غطاء

حافيةٌ.. لا حذاء

تجرى بقوة.. لا تعرف أين تتجه وإلى أين تذهب

الخوف أخذ منها كل مأخذ

بدون وعي..

اتجهت يسارًا خطوات سريعة.. ثم عادت تجري يمينًا..

بعد لحظات..

لحقتها ابنتها التي لم تتجاوز الخمس سنوات

هروبٌ.. وفرار

الأمر.. حياةٌ وموت.. نفسي نفسي..

سارت الصغيرة يسارًا وهي تجري بسرعة

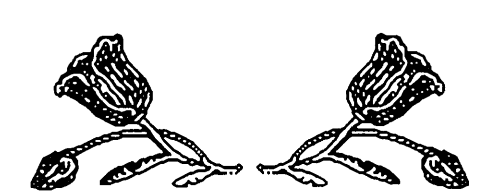
حتى اصطدمت بحجرٍ كبيرٍ.. وسقطتْ..

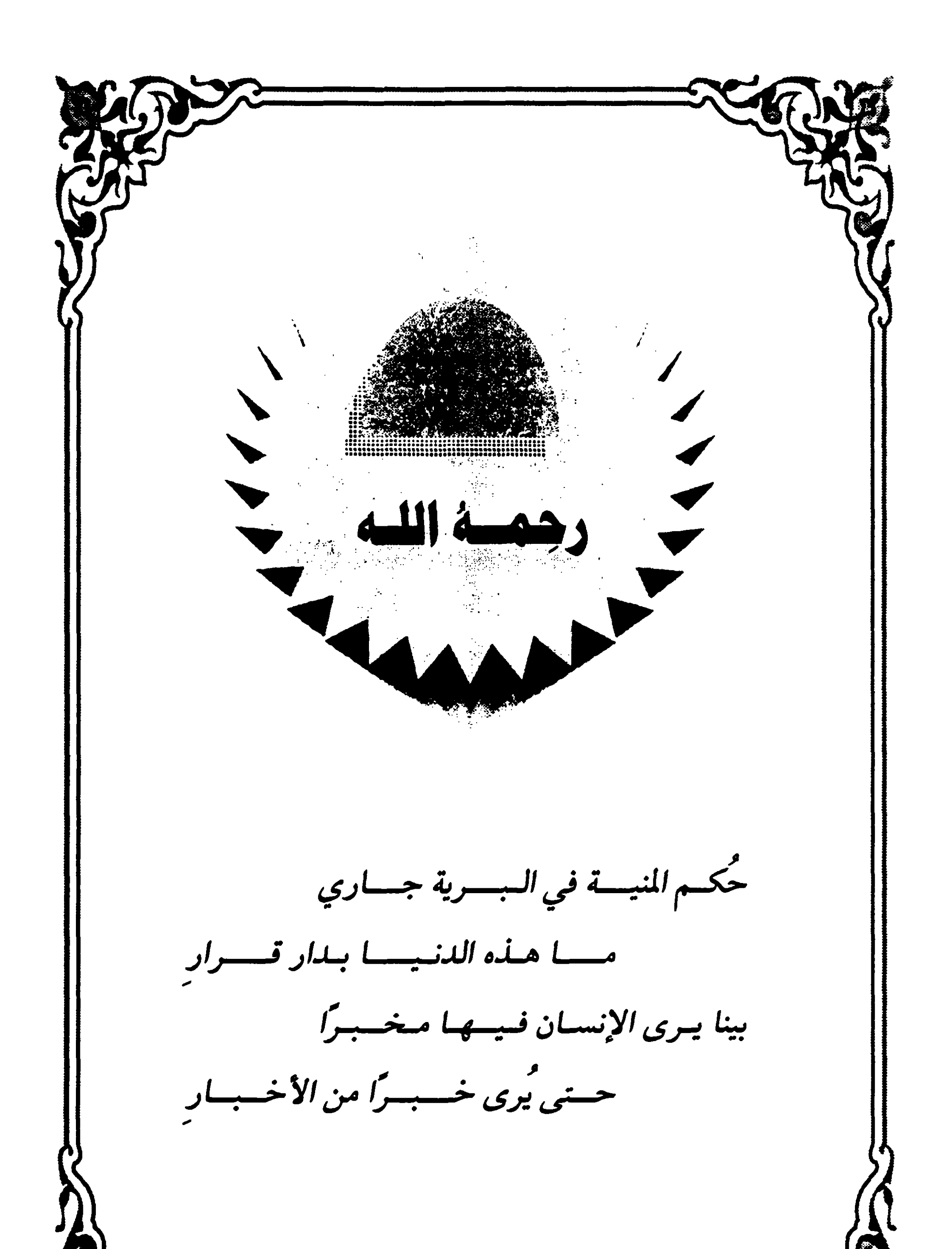
بعد دقائق..

انجلى الغبار.. وهدأت الأصوات.. بدأنا النزول من الكهف..

وأنا أتفكر في هول ذلك اليوم..

﴿يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرئ منهم يومئذٍ شأنٌ يغنيه﴾..





رحِمهُ الله

حُكم المنيـــة في البــرية جــاري

مـــا هــذه الدنيـــا بـدار قـــرارِ

بينا يـرى الإنسان فـيـهـا مـخـبرًا

حـتى يُرى خـبـرًا من الأخـبـارِ

للحياة تجديد.. وللأخوة لقاء..

زيارة الأصدقاء.. فرحٌ في القلب.. وراحةٌ للنفس

تباعدت بنا الأيام..

الأوقاتُ تمر سريعة..

شهرٌ أو يزيد لم أر عبد الله..

تذكرت عتابي له.. ولومي لتأخره في الزيارة..

لا نراك إلا كل شهر.. هذا حق الأصدقاء عندك..

هذه المرةُ سيكون العتاب أكثر..

نحن في نهاية شهر رمضان ولا نراه..

هاتفني مرةً أو مرتين..

ولكني لم أره إلا مرة واحدةً على عجل..

الحياةُ أخذت كل شيء.. لا وقت حتى نستأنس بالجلوس معه..

وقفت مشاغله حائلاً دون الزيارة..

عتبه محبة.. ولومه أُخوة

هذه الأيام.. لا وقت لدي أنا أيضًا..

فأنا إمام المسجد

ولكن لعلي أراه ولو بعض الوقت.

* هاتفني..

سأزور بدون موعد

رمضان قد رتب وقتك.. فأنت بين مراجعة حفظك.. وبين الراحة بعد صلاة التراويح.. وما بقي من الوقت استعدادٌ لصلاة القيام..

رغم كل الظروف.. لا بد أن نراك..

بعد يومين..

قدومٌ مبارك.. ولكنه قدومٌ متأخر..

واستدرك عليَّ حديثي ولكني.. ذاهبٌ إلى صلاة القـيام.. أجبته.. لا تختار إلا هذا الوقت..

أحببت أن أراه بعد الصلاة..

اعتذر بكثرة المشاغل..

ووجد لي عذرًا.. فأنت تحتاج إلى الراحة.. ولدي عمل يجب أن أنجزه الآن قبل الغد..

استدركت نسيانه..

صلاة القيام..

تمهل في الإجابة.. ولاحظتُ ذلك

أسرعت الكلمات على لساني.. الليلة نختم القرآن

لا بد أن تصلي معنا..

وأكملت مازحًا.. عندما لا حظت سكوته..

لا تُضيعها..

قد تكون آخر ختمةٍ في حياتك..

وكانت كذلك..

بينـمـــا الفــتـى مــرح الخطا فـــرحٌ بما

يَســـعى له إذ قـيل: قـــد مـرض الفــتى

إذ قـــيـل: بات ليـلةً مـــا نامـــهـــا

إذ قــيل: أصـــبح مــثـخـنًا مــا يُرتجى

إذ قـيل: أصـبح شـاخـصًا ومـوجـهًا

ومـــعللاً إذ قـــيل: أصـبـح قـد قــضى

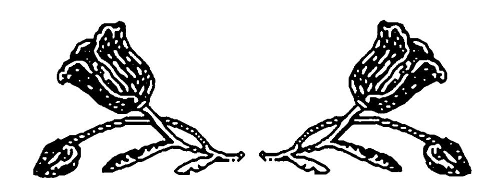
آنس الله وحشتك

رحم الله وحدتك

أنت في صحبة البلى

أحسن الله صحبتك. .

وكان رحمهُ الله..





١١

أم الأبناء

صلاحُ أمرِكَ للأخلاقِ مرجِعهُ

فقوِّم النفس بالأخلاق تستقمِ

والنفسُ من خيرها في خير عافيةٍ

والنفسُ من شرها في مَرتعٍ وخِمِ

هاتفني ظُهرًا على غير عادة

أخبرني بأنه سيأتي حالاً..

إنا لله وإنا إليه راجعون.. نبرات صوته متغيرة..

ربما أن في الأمر شيئًا..

شابٌ في مقتبل العمر .. يحمل هموم الدنيا فوق رأسه

هذا ما يدعيه..

منحك الله الصحة.. والزوجة.. والأبناء

ولكنك توحي لنفسك بهذه الهموم

لقد شاب شعركَ وأنت شاب..

رفع رأسه.. وقال.. كلا فأنا أحمل هموم الدنيا..

يكفيك من هموم الدنيا زوجة تُنكد عليك حياتك

وتكدر صفاء أيامك

أوقفت سيل كلماته.. لا تقل هذا.. يا أخي..

هدئ من غضبك.. وزِن الأمور

زوجتك تقدرك.. وتحترمك

ما علمت شيئًا فيه راحتك إلا أتته

يكفيك منها.. إنها أم لأبنائك

ترعاهم.. وتُعلمهم.. وتتفقد أمورهم

كيف تقبل الآن.. أن تتحدث عنها هكذا

تجعل الغضب يُنسيك كل شيء .. تمحو الزلة كل خير..

إن كان هذا صحيحًا.. أين الصبر والحلم؟!

حسن الخلق معها.. ليس كف الأذى عنها فقط..

لا..

بل احتمال الأذى منها.. والحلم عند غضبها..

هَدَأ بعضٌ من غضبه.. ولكنه أتم حديثه..

لم يمر بنا أسبوع واحد دون مشكلة.. أو مشاكل..

هذا يكفي لأن تعذرني.. ولا تعجب من ثورتي وغضبي..

قلت له.. من سبب هذه المشاكل..

بسرعة.. أجاب.. هي طبعًا..

وأنت!!

هل يعقل أنها سببٌ لكل هذه المشاكل..

وأنت بريء....؟!

لكأني أرى الكثيرات يتحملن سيء أخلاق أزواجهن..

يصبرن حين غضبه..

يأمر.. وينهى.. يُهين.. ويزبُد..

وأكثر..

وهو.. بريء..!!

* أضفتُ..

دعني أسألك.. أكثر من سؤال..

هزَّ يده.. وقال..

سأجيب وبصدق.. أريد حلاً لمشاكلي..

تعبت مما أنا فيه..

التفتُّ إليه..

لا تسمعني جوابك الآن.. أجب بينك وبين نفسك..

سأجعلك الحكم..

ففيك الخِصَامُ.. وأنت الخصم.. والحكمُ..

متأكد.. أنه لا توجد أمور أساسية تجعلك تكره زوجتك..

فيما مضى.. تُثني على دينها وخلقها.. وحسن تدبيرها..

وفي لحظةٍ يُنسى كل شيء..

زيادةٌ في ملح.. أو نقص في التوابل والبهارات..

يسقُط كل شيء..

أما فقد أزرار.. وعدم كي الثوب جيدًا

فهي إلى دار الأهل سريعًا..

الطامة الكبرى..

إن نسيت أو.. أخطأت..

تهديدٌ.. ووعيد.. وربما نفذ..

كم من البيوت هُدِمت.. وكم من الأطفال ضُيعوا..

ثم بعد سنوات.. يأتيك الندم..

لو رويتُ لك قصة غضبك ومجيئك إليَّ ظهرًا على لسان رجل آخر..

لاستغربت.. ولربما أخذتك النخوة..

ألا يصبر على زوجته..

الأمر لا يستدعي كل هذا.. كل بيتٍ فيه مشاكل..

سألته..

أليس هذا هو الصحيح..؟

لماذا إذًا تجاوزت كل هذا..؟!

ثم إذا كانت هي صاحبة المشاكل كلها..

أليس لك نصيب.. أم أنت كامل..

دعني أتجاوز حدي.. وأقول

لعلك السبب الرئيسي في كل هذا.. ولك نصيب الأسد..

تمهلت قليلاً بعد أن رأيت قسمات وجهه وقد تغيرت..

يا أخي..

أولى الناس بالبشاشة وحسن الخلق أهلك..

أحق الناس بالكرم والجود بيتك..

أنت كرجل..

لك أختّ اليوم.. ولك بنتٌ غدًا

هل ترضى بمعاملتك لزوجتك أن تكون معاملة زوجٍ لابنتك..؟

إذا كان الجواب .. نعم.. فنِعمت المعاملة..

وأنت نعم الرجل.. وأبشر بالخير في الدنيا والآخرة..

فَهُن لا يكرمهن إلا كريم.. ولا يُهينهن إلا لئيم

وإن كان غير ذلك..

فإني أُذكرك الله.. والدار الآخرة..

واعلم أن أول رابح من حسن الخلق.. أنت

تَهدَأ أعصابك.. وتستقر أمورك.. ويُحبك أهل بيتك

بحركة عفوية.. تحركت يدي

هون الأمور.. تَهُنْ..

هذه أم أبنائك

تخدمك فلا تشتكي.. تُضحي لك بصحتها وشبابها ولا تستكثر..

وفي كل يوم تناديك...

فليتك تحلو والحياةُ مريرةٌ

وليتك ترضى والأنامُ غضَابُ

إذا صح منك الود فالكلُّ هينٌ

وكل الذى فوق الترابِ ترابُ

لو خدمك رجلٌ وأكرمك.. يومًا أو يومين

لبالغت في الثناء على كرمه وخلقه وأدبه

زوجتك تخدمك السنين الطوال

فلا تُشكر . .

هذه أم أبنائك تحمَّل هفوتها . . وتجاوز عن زلتها

احفظ لها معروفها . . واشكرها عليه

تكسب ودها . . وصادق محبتها

وقبل ذلك . . تُؤجر

تابعت حديثي . .

متأكد أن ما أساءك . . قليلٌ جدًا عمَّا بذلته من غضبٍ وتوتر

أعصاب . . ما أنفقتـه من صحتك . . ووقتك وراحتك . . وفقد المحبة بينكما

أغلى وأثمن . . من الأمر الذي غضبت لأجله . .

أليس كذلك؟!

وأحببتُ أن أطمئنه . . هذه أمورٌ عارضة . . تمر بكل البشر

على ألاَّ تتجاوز حدودها وتترك سلبياتها . .

أخي . .

ألسنا في هذه الدنيا للعبادة

ألا تعرف أن من أنواع العبادة . . حسن الخلق

تؤجر . . على رفع اللقمة إلى فم زوجتك

إنفاقك على بيتك . . خير أنواع الصدقة

في جهادٍ . . وأنت تبحث لهم عن الرزق الحلال

ليست الحياة أوامر . . ونواهٍ

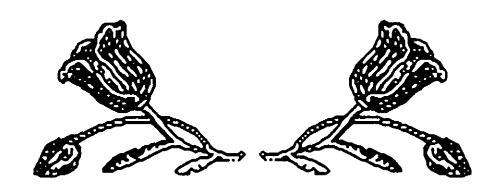
في الإسلام

ما بين الزوجين أكبر من ذلك . .

ثم . . .

دعني أسألك . .

أين مروءات الرجال..؟!





١٢

العاصفة

كأن المنايا قد قصدن إليكَ

يردنك فانظر ما لهن لديكَ

سيأتيك يومٌ لست فيه بمكرمٍ

بأكثر من حثو التراب عليكَ

أسرع مما توقعت.. بدأ العد التنازلي لموعد زواجي..

كلما قرب الموعد.. كبرت المسئولية وتضاعف الجهد

الهواجس والأفكار.. لا تفارقني..

كان ترتيبي.. أن ما بقي الآن شهر أو يزيد

سأنتهي من كل شيء..

الأمر بسيط.. ولا يحتاج إلى وقتٍ طويل

اكتشفت متأخرًا..

إننى أضعتُ أسبوعاً كاملاً في اختيار المفروشات

وآخر في تجهيز.. المطبخ..

الآن.. هناك متسع.. بقي أسبوع.. تنفست الصعداء..

الأحلام الوردية تطاردني.. والفرحة تلاحقني

تركت خيالي يسري.. ولا ينام

بدأت التردد بكثرة على منزلي..

أستمتع بالجلسة وبهدوء المكان.. أقرب الشاي وأمد قدمي

استرخاء تام.. وحلمٌ مبكر.. أتصفح الجرائد وأقرأ المجلات

كل موضوع له علاقة بالزواج والأبناء دخل ضمن اهتماماتي

عنوان جذاب.. اقرأ قبل أن تتزوج

قلت بهدوء..

كلٌ يخاطبني هذا الأسبوع.. ابتداءً من الأطفال حتى الصحف والمجلات

استرسلت في القراءة.. نصائح كثيرة.. ومتتالية

الفحص الطبى قبل الزواج.. أعدت القراءة مرة أخرى

فوائده.. وأخيرًا ضرورته..

لازمتني الفكرة خلال يومين.. سيطرت على ذهني. ورأيت أن أفعل

الخطوة الأولى.. إجراء فحص أولي.. ثم بدأت إعطاء التحاليل للمختبر..

مراجعة الطبيب بعد ثلاثة أيام..

رحلت مع أحلامي

وعندما جاء الموعد.. تثاقلت..

ما الفائدة من الفحص.. الجميع تزوجوا بدون ذلك

وعندما تذكرت أننى قد دفعت لهم كامل المبلغ

نهضت.. ورغم ذلك وصلتُ متأخرًا..

انتظرت مدة تزيد على نصف ساعة..

وعندما حان دخولي على الطبيب.. مشيتُ بخطواتٍ بطيئة..

أخرج أوراق التحاليل.. وبدأ يقرأ..

قلب الأوراق مرة أخرى.. استرق النظر إليَّ أكثر من مرة.

وعندما سألته.. هل هناك شيء..؟

وضع الأوراق على طاولته..

بدون مقدمات قال:

يوجد اشتباه بسرطان في الدم

لم أصدق ما سمعت.. هول الصدمة جعلني لا أنطق..

وأنا أنظر إليه.. تحدثت العيون وسألت

كيف..؟

لا تَخف مجرد اشتباه.. دعني أفحصك مرة أخرى

لم أستطع أن أتحرك من مكاني.. شعر أنه أخطأ في مواجهتي..

مد يده.. وساعدني.. ألقيت بنفسي..

بدأت أتنفس بقوة لأتأكد من أنني على قيد الحياة

فتح عيني.. وأطال النظر.. سمع دقات قلبي..

الأمر هين وبسيط.. نعيد التحاليل..!!

أتيت بآمالٍ وأحلام.. وخرجت بهمومٍ وأحزان

كل ذلك في لحظات..

هِمتُ على حالي.. أوقفت سيارتي جانبًا..

أغمضت عينيَّ..

في ماذا.. وأنا أنتظر الموت أُفكر..

فكرت.. وفكرت .. نفسي.. أهلي.. وأخيراً.. هي..

هل أُخبرها..؟ ماذا أقول..؟

لو أكدت التحاليل وجود المرض.. أسكت أم أخبرها

لا وقت.. أيام فقط.. زواج أم.. لا..

لم أعرف النوم تلك الليلة

في الصباح تركت عملي واتجهت إلى المختبر

والدم يؤخذ منى.. قلت له.. خذ أكثر حتى نتأكد..

ولعله أخذ ما يرضيني.. وأكثر

لم يبق في عروقي دم.. بقي همٌّ.. وغم

لم أتوقف عن التفكير.. لعل الأمر خطأ..

ولكن شيء في داخلي يقول.. إن الأمر حقيقة

تركت منزلي..

إبريق الشاي منذ مساء البارحة تركته على أمل العودة

كطائر أغلق عليه قفصٌ من حديد.. يطير.. ويطير.. يبحث عن مخرج..
يصطدم بكل جهة يتجه إليها.. ولا يبالي.. ولكن بدون نتيجة

كل من قابلني

وجهك متغير.. هذا وجه من يريد الزواج

كل هذا فرحٌ بالزواج..؟

بدأت تخاف من الآن..؟

حديثهم.. في وادٍ.. وأنا في وادٍ آخر..

ثلاثة أيام بطيئة.. انتظارٌ طويل.. طويل

قطعًا لحالة الشك.. ذهبت إلى عيادة أخرى

وفي نفس اليوم.. اتصلت بالعيادة الأولى

لم يأت شيء.. لا.. بعد غدٍ

ما أطول غدٍ وبعد غدٍ.. أنتظر الموت أو.. أمل الحياة

الغيتُ زياراتي ومواعيدي..

حتى شراء ما بقي من الكماليات لمنزلي تركته

لا أريد أن أرى أحدًا.. أنظر إلى الدنيا نظرة مُوَدِّعَ

أخبئ وجهي عن أمي..

أستقبل الأيام وأرى دمعتها عندما أُنعى إليها

أما أبي.. فحزنٌ يقطع الكبد

يمازحني في أمر الزواج.. وأقول بصمت.. غدًا ربما تسمع شيئًا آخر.

في اليوم الثالث هدأتُ..

فكرت إن كان الأمر حقيقة لن أتزوج

ولكن حب الحياة ينازعني

الكثيرون.. عاشوا بأمراض مثل هذا وأكثر

الأعمار بيد الله.. إذًا أخبرها..

في الساعة الرابعة والنصف.. وقفت أمام العيادة مهمومًا..

لعلي الطبيب يحضر مبكرًا.. وجاء الطبيب.. ولم يأت التقرير

انتظرت ساعتين.. أطول عندي من سنتين

وعندما أخبرني الطبيب بوصول النتيجة

وقفت بسرعة.. فتح التقرير..

بدأت أرتجف.. كأنني في شتاء بارد..

أما قلبي.. نبضاتٌ سريعة.. وضرباتٌ قوية

ركبتيَّ.. لا أعرف لماذا لم تستطيعا حملي..

ورغم العرق الشديد والنَّفسُ المتلاحق..

بشرني.. الحمد لله

ولم أدعه يُكمل.. رميت بنفسي عليه..

تراجعت.. اقرأ مرة أخرى.. تأكد من كامل الأوراق..

خرجتُ لا تسعني الفرحة.. أسلم على من أرى

ذهبت مسرعًا إلى منزلي..

لا يزال الشتاء في داخلي.. والعرق على جبيني

استرخيت.. ولكن لم أستطع البقاء

ركبت سيارتي..

سلمت على والدتي..

لاحظت أنني مجهد.. والفرحة تعلوني.. وأي فرحة..

ما بك..؟

مظروفٌ في يدي يحكي كل شيء..

عقب أخي.. بعتاب.. ولا تُخبرنا بذلك..

ابن آدم ضعيف.. ولكنه جبارٌ مستكبر

يُسقطه رغم غروره وكبريائه..

فيروسٌ صغير.. وجرثومةٌ لا تُرى

يخاف الموت.. ولا يعمل له

يفرح بالصحة.. والعافية.. ولا يستفيد منهما

تمر الأحداث.. وتتنزل النوازل..

وهو.. في أمرٍ آخر..

أما أنت

فقد بُعثت من جديد. .

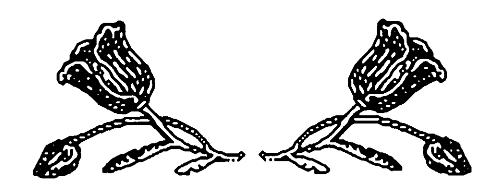
ولكن. . .

فــــهن المنـايا أي وادٍ حـللتـــــه

عليــهـا القــدوم أو عليك سَــتـقــدِمُ

هناك متسعٌ الآن. . . .

أعد حساباتك...





١٣

أيام لا تعود

يا من يُعد غدًا لتوبته

أعلى يقينٍ من بلوغ غدِ

المرء في ذلٍ على أمل

ومنية الإنسان بالرَّصدِ

أيامُ عُمرِك كلها عددٌ

ولعل يومَك آخر العددِ

حركت رأسي.. وأنا أنتزع ورقة التقويم

هذه آخر ورقة في تقويم هذا العام

انتهت سنة كاملة من عمري.. دون أن أشعر

وهل عمري إلا عددٌ من السنوات

كلما طويت واحدة أدنتني من القبر

وقفت أتأمل غروب شمس عام كامل.. لن يعود

طُويَت صحائفه وحُفِظت..

لكن ماذا فيها..؟

لكل بداية نهاية.. ولكل سبيل غاية

الحمد لله الذي مَدَّ في عُمري

كم من حبيبٍ فقدنا.. وكم من ميتٍ دفنًا

الحمد لله على طول الأعمار

تعالي يا زوجتي العزيزة

أعرف أنكِ تفرحين بهذا النداء..

أكيد..

ولكن الأمر أكبر من ذلك

هذه ورقة تحكي لكِ قصة عامٍ كاملٍ انتهى

تُقدمُ لكِ العزاء..

في عام تصرمت حباله.. وتقطعت أيامه

تعالي نستجمع قوانا..

علنا نستعيد دقيقة واحدة من عُمرنا..

هل نستطيع..؟!

ساعاتٌ طوال أضعناها دون فائدة

مواسم خيرٍ مرت دون عمل..

عام مضى.. ولن نستطيع إرجاع لحظة واحدة منه..

لن نقدر على أن نزيد في زمنٍ مضى

تسبيحةً واحدة.. أو تحميدة واحدة..

لو تأملتِ..

كم من الوقت مر دون فائدة.. لوجدت الكثير؟!

لنتوقف قليلاً..

كل شيء عسى أن نسترجعه إلا الوقت

دعينا نُحاسب أنفسنا..

بعد طول استماع..

قالت..

أنت لا تحاسب نفسك إلا كل سنة

أما تجارتك.. وعملك.. فكل يوم

ألم تفكر في آخرتك..؟

سكتت..

ولكنه أضاف

دعينا نحاسب أنفسنا حتى وإن تأخرنا

لا يمنع ذلك..

احمدى لله أنكِ لم تترملي بموتي..

وأنت..

احمد الله أني بجوارك أُعينك على الطاعة..

عام كامل..

هناك من حفظ القرآن

كثيرٌ مَن لم تفته تكبيرة الإحرام مع الإمام

الكثير جعل همه رفعة الإسلام.. وعمل لذلك..

في عام كامل..

كم مَن استقام وتاب وأناب

ألا ترى من وطن نفسه وألزمـها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف لا.. وتركُه كبيرةٌ من الكبائر

الكثير يحاسب نفسه كل يوم بل هناك من يحاسب نفسه قبل كل حركة.. وسكون وقول.. إن رأى فيه خيراً أمضاه.. وإلا توقف عند حدود الله

بعد لحظات من التأمل

كم تقرأ من القرآن كل يوم..؟

كم كتابًا في كل شهر تقرأ..؟

أما المحاضرات ودروس العلماء.. فلا نصيب لها من وقتك

بل أجبني. .

ماذا قدمت للمسلمين في مجالات كثيرة؟!

أين زكاة علمك. . أين زكاة شبابك وصحتك؟!

خطواتٌ قليلة ثم باب الجار. .

منذ شهور وأنت لم تزرهم

أسألتهم لماذا لم يحافظوا على الصلاة مع الجماعة؟!

هناك كثير أنت غافل عنه. .

هناك كثيرٌ أنت محاسبٌ عليه

مع تتابع الأسئلة

سؤال طرق ذهني. . وهز قلبي

عامٌ كامل أمهلك الله فيه ومَدَّ في عمرك. .

ماذا قدَّمت. .؟!

وانتظرتْ الجواب

وكان السكوت. .

تركتني وحدي وورقة التقويم في يدي

جال في خاطري سؤال عجيب

أين أنا بعد مائة عام. .

أطرقتُ أفكر. .

ثم ما إن أقبلت حتى تردد صوتها

أين ذهبتَ. .؟

قلت لها.. أين أنا بعد مائة عام..؟؟

أنت تعرف أن القبر مسكنك..

عُمرك رأس مالك

ولسوف تسأل عن إنفاقك منه وتصرفك فيه

أنتم معشر الشباب..

الكسل رفيقكم.. والهمة الضعيفة أنيسكم

كل من صلى وصام.. حسب أنه بلغ المنتهى

لا شك في وجوبها.. ولكن

أليس للإسلام نصيبٌ غير ذلك في قلبك

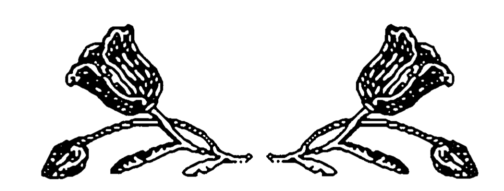
كلٌ منكم يستطيع أن يقدم الكثير

أمـــــا لله والإســــلام حـقٌ

يدافـع عنـه شـــبــــانٌ وشــــيبُ

عاد سؤالها يهز قلبي..

ماذا ستقدم في هذا العام..؟!





١٤

قطار.. ونحن المسافرون

أتيتُ القبور فناديتُها

فأين المُعَظَّم والمُحتقر

وأين المُدِلُّ بسلطانه

وأين العظيم إذا ما افتخر

تنادوا جميعًا فلا مخبرٌ

وماتوا جميعًا وأضحوا عِبَر

أصبَحْتُ وأنا أشعر بالكآبة.. وسِمةُ الحُزن ترتسم على محياي

لا أعرف سببًا مباشرًا لذلك..

ولكن.. لعله بعد حديث المساء..

فقد اجتمعنا زملاء الدراسة وأصدقاء الطفولة

تحدثنا عن حياتنا.. عن أعمالنا

خرجت بانطباع عام

الغالبية لديهم المال..

ينفقون كما يحلو لهم.. وكما يشاءون

فلانٌ له كذا وكذا من العقار

وفلان مثله.. أو يزيد

وأنا.. أقل الجميع

لعلي شعرت بالحزن.. وأصبحت الكآبة رفيقتي..

❊ موعدي بعد صلاة العصر مع عبد الرحمن

شابٌ في مقتبل العمر

دمث الأخلاق.. حلو المعشر

حاضر النكتة.. من خيرة الشباب

لعل في زيارته تخفيفًا لما أشعرُ به

وكما توقعت..

ما إن أحس أن هناك شيئًا في داخلي

حتى تلاحقت أسئلته

ما بك..؟ وهل هناك ما يكدر صفو أيامك..؟

احمد الله على ما أنت فيه من نعمة

ثم أضاف بنبرة فيها عتاب

والله إنك في نعم لا تحصى ولا تعد وأولها نعمة الإسلام

تمهَّل في الحديث.. وأكمل

أنت حالك كحال رجل جاء إلى أحد الصالحين..

فشكا إليه ضيقًا في حاله ومعاشه واغتمامًا بذلك

فقال: أيسرك ببصرك مائة ألف..؟

قال: لا..

قال: فبسمعك..؟

قال: لا..

قال له: أرى لك مئين ألوفًا وأنت تشكو الحاجة..

سكت برهة.. ثم أجبته بصوت ضعيف..

الحمد لله..

جاءت كلماته الصادقة.. وهو نعم الصديق

هل بقي شيءٌ من الكدر وضيق الصدر..؟

تذكَّر أمرًا.. عندما رفع صوته وسألني بحِدة..

كيف جعلت للضيق في صدرك مكانًا..؟

يومٌ كامل يصول ويجول الكدر والهم في قلبك..؟

أين أنت عن الصلاة وقراءة القرآن؟

كان الرسول ﷺ إذا حزبه أمرٌ فَزِعَ إلى الصلاة..

كل يوم لا تفوتك فيه قراءة الصحف والمجلات..

أين قراءة صحف ربك..؟

أين أنت من القرآن..؟

على أي حال تريد أن تُزيل كل شيء في خاطرك.. وتستعيد صفاءك

رفعت رأسي.. وأجبت..

نعم

قال: هيا..

إلى أين ؟!

لاتسأل أين..

بعد أن أغلقت باب السيارة..

من النعم وسائل النقل المريحة..

تذهب متى تشاء براحة وطمأنينة

هل حمدت الله أنك تعيش في دار الإسلام وبين المسلمين

تسمع النداء كل يوم خمس مرات

تُربي أبناءك على التوحيد الخالص..

في الشارع العام.. هدأ من سرعة السيارة

ثم سار في اتجاه اليمين

إلى أين يا عبد الرحمن..؟

هذه المقبرة . . ! !

أعرف أن هذا طريق المقبرة.

وأن هذه التي أمامنا مقبرة . .

تمهل ولا تستعجل الأمور

لماذا تخاف . . ؟

دعنا ندخلها بأقدامنا . . قبل أن يُدخَلَ بنا محمولين . .

هذه دارنا الثانية . . دعنا نزرها . .

السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون، يرحم الله المستـقدمين منكم والمستأخـرين، نسأل الله لنا ولكم العافـية . . اللهم لا تحـرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم . . واغفر لنا ولهم . .

بعد السلام على أهل القبور

تركت عينيَّ تتجول في مساحة المقبرة

أرضٌ جرداء . .

سكون مخيف . .

صمتٌ متواصل . .

لا تسمع حديثًا رغم كثرة الساكنين

قبورٌ متراصة . . وجيرةٌ متباعدون . . لا يعرف بعضهم بعضًا

تضُم الطفل الرضيع

والأمير والوضيع

الشيخ الكبير هنا قبره

والعروس التي وسدت الثرى ليلة زفافها هنا مرقدها

هنا من كان منعمًا في الدور والقِصور

أما هناك..

قبر الشاب المكتمل الصحة.. والقوة..

من سقط فجأة.. ودفن فجأة

وهذه القبور المحفورة تنتظر الساكن الجديد

تنتظر الجنازة القادمة..

ربما أنا..؟!

وربما أنت..؟!

قطع تفكيري..

ما رأيك في هذا القبر.. وهذا اللحد..

ماذا تقول فيه..؟ هذا صندوق العمل

هذه دارك الثانية..

يا عبد الله..

انزل في هذا القبر..

أجبته بسرعة.. وبصدق.. لا أستطيع

ومع إجابتى تراجعت قليلاً وابتعدت عن حافة القبر.. خَوف أن أسقط..

أما عبد الرحمن فقد تقدم.. ونزل في القبر..

باسم الله.. ووضع جنبه في اللحد..

ما أحقر الدنيا.. هذه داري بعـد الموت.. اللهم اجعل قبري روضة من

رياض الجنة بعد برهةٍ.. قفز من القبر.. وأسمعني صوته..

﴿أفحسِبتم أنما خلقناكم عبثًا وأنكم إلينا لا ترجعون..﴾

بلى سنُرجع.. بلى.. سنُرجع

التفت إلي وهو يزيل التراب.. انزل عبد الله لتزول همومك

أصابتني قشعريرة.. تمالكت نفسي.. ولما رأيت إصراره.. نزلت

ما أضيق القبر وحده.. موحشٌ ومظلم..

حتى الحركة لا تستطيع أن تتحرك

يا عبد الله.. صوتٌ من أعلى يناديني..

قدِّر لنفسك أنك مت.. ودُفنت

ما العمل الصالح الذي قدمت..؟

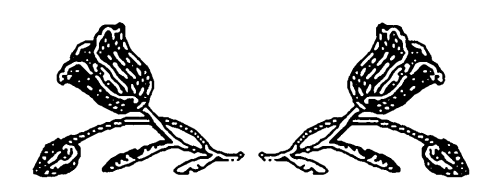
أجلت طرفي يمنة ويسرة داخل القبر

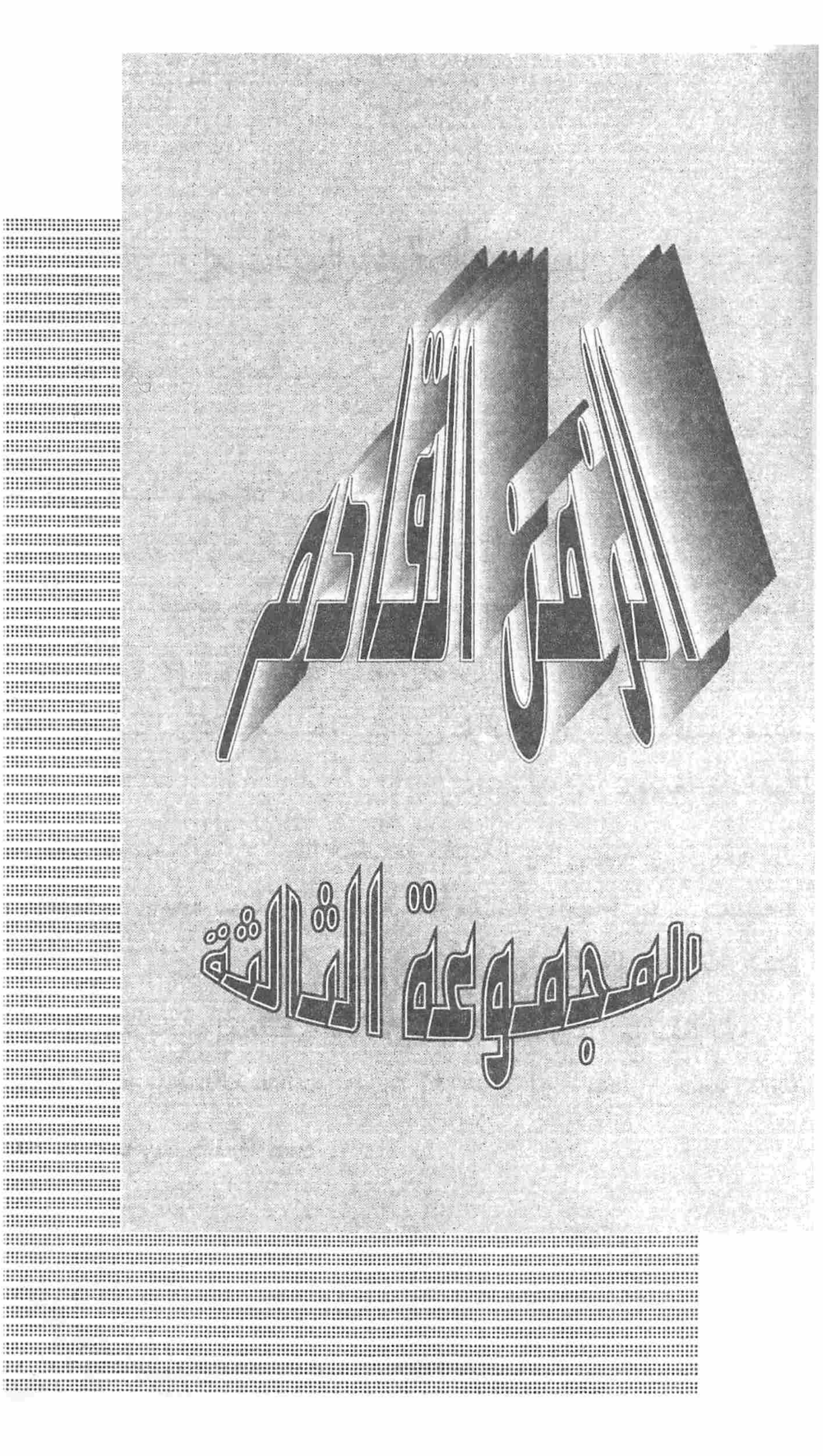
تفكرت في أمرين

هوان الدنيا.. وطول الأمل..

سنرحل جميعًا ونترك كل شيء..

إلا العمل الصالح..




الزحف القادم
المجموعة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

مع إشراقات التوبة في الزمن القادم أُقدم للإخوة القراء - المجموعة الثالثة - وقلمي يتعثر بدمعة تائب، وصوتي يحجُبه استغفار عائد.. على ضعفٍ فيَّ وقصور.. آملاً أن يبلغني الله ما أملتُه من كتابتها.

وفي هذه المجموعات آليت على نفسي أن لا أكتب إلا قصة واقعية ولها فائدة دينية تربوية، وإلا فيصلني الكثير وأسمع الكثير. كما أن التنوع في الهدف والمضمون أمرٌ مطلوب.

ولم تكن غايتي من الكتابة متعة القاريء والتعاطف مع الموقف فحسب.. بل الخروج بفائدة علمية دينية بأسلوب دعوي.. لعلمي سعة انتشار الكتيبات الصغيرة وكثرة قُرائها.

وأنا أقف بين يدي الله عز وجل شاكرًا فضله وإحسانه عليَّ بإخراج هذه المجموعات.. أدعوه جل وعلا أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم.

عبد الملك بن محمد القاسم



الـــوداع

قال الحسن : إني لأستحي من ربي عز وجل أن ألقاه ولم أمشِ إلى بيته.. فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه.

لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك.. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك..

هرول ملبيًا النداء..

قال وهو يستحثني لأداء فريضة الحج

ماذا تنتظرين!؟ وإلى متى تؤجلين!؟

إنها فرصة واحدة كل عام.. وهذا ركنٌ من أركان الإسلام..

ما عذركِ في التأخير..

الآن السبل مُيسرة والمواصلات سهلة.. والأمن متوفر..

تباطأت أبحث عن عذر..

قال: أما سمعتي حديث رسول الله ﷺ: **«الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»** إنه أجرٌ وثوابٌ يملأ القلب همةً ونشاطاً.. وسرورًا وحبورًا.

أقبلَت الأعمال كالجبال.. وسارت نحوي الأعذار..

عاد صوته مرة أخرى وبحماس أكثر وهو يقول..

فرصةٌ لا تعوض.. لا ترددي..

قلت له.. هذا قرار سريع.. انتظر.. دعني أفكر.. ثم مع من نذهب؟! وكيف نذهب؟! وأين نسكن؟!

وانطلقت الأسئلة كسيل جارف.. ماذا نفعل.. هناك زحام.. وهذا العام الحر شديد.. والحجاج كثير؟!

فاجأني بصوته الهادىء.. الأمر مُيسر.. يُسهل الله كل عسير

* سهل الله الأمر..

الأعمال التــي كانت أمام عيني كالجبال تلاشت.. والأعذار المتلاطمة كالأمواج اختفت.. قررت مرافقته في رحلة الحج..

وهل هناك أجمل من رفقة زوج في سفر طاعة..

مضت ثلاث سنوات على زواجي.. ثلاث سنوات كــان عونًا لى وكنت عونًا له على الطاعة. إذا نسى ذكرته وإذا قصرت نبهني..

مــازلت أتذكــر الأيام الأولى لزواجي.. وأصابع يده تلتــقط مقصًا صــغيراً.. سألته: لماذا هذا المقص؟!

قال وهو يخفي ابتسامته.. بعض زوائد لحيتي أقصها!!

سألتها باستغراب.. لماذا تقصها؟! قال: أتجمل لكِ!!

تحول تعجبي إلى سؤال سريع يستنكر الفعل!!

تتجمل لي بمعصية الله؟

نِعمَ الرجل.. امتثال سريع وتوبة من قريب..

أعادت يده المقص إلى مكانه ولم تعد له مرة ثانية منذ ذلك اليوم.

في أيام مِنًى.. كطفلة صغيرة تُمسك بأبيها خائفة مذعورة لم تترك يدي معصمه ولا كفه..

أستمد حنانًا لم أره في حياتي.. ويؤنسني صوته وهو يذكر الله..

المخيم يعج بالحجاج نساءً ورجالاً..

سبل الراحة متوفرة.. وكل يوم بعــد صلاة المغرب محاضرة.. ثلاثة أيام مرت مليئة بالدعاء والاستغفار..

هنا لا فرق بين الليل والنهـار.. لا تسمع إلا أصوات الحجيج وجبال مكة وأوديتها تردد صدى تلك التكبيرات والتلبيات..

في منتصف الليل.. الأصوات تتعالى.. والتكبيرات تتـوالى قال لي.. سنطوف ونسعى هذه الليلة..

أظهر حرصه الشديد عليَّ عند الطواف.. فأنا حامل

تعالى من هنا.. لا تتعبي نفسك.. لا تجهدي جسمك دعوت الله وأنا أطوف بالكعبة أن يرزقني طفلاً صالحًا..

سرت مع الزمن.. ربما يكون معنا العام القادم هنا!!

في آخر ليلة لنا في مكة.. ذهبنا لطواف الوداع

اللهم لا تجعل هذا آخر العهد ببيتك العظيم

وأرسلت الدمع منحدرًا ..

وحينما تذكرت حديث الـشيخ البارحة في المخيم عن فضل الحج وهو يذكر حديث الرسول ﷺ.. «**من حج هذا البـيت فلم يرفث ولم يفـسق رجع كيـوم ولدته أمه**» كبَّرت.. الله أكبر.. ما مر بك من ذنوب تغفر.. وما أصابك من زلات تستر

حمـدت الله على هذا الخير العـظيم.. ودعوت الله بذلة وانكسار أن أكون من المقبولين..

وأنا أكحل عيني برؤية البـيت العتيق.. سقطت دمعـة وداع.. وبثثت حديث النفس هل ترى سأعود؟ وأكحل عيني مرة أخرى..

هل سأسـعى بين الصـفا والمروة.. وأروي ظمـأي من ماء زمـزم.. سكبت

الدموع والعبرات وأنا أغادر مكة مودعة..

وأي وداع

وأنت تفارق الحرم والمقام..

اتجهنا إلى مطار جدة.. الزحام شديد والأصوات مرتفعة والإعلان عن الرحلات يتم بشكل متتابع..

إنصات عجيب.. لا ترى إلا تذكرة وحقيبة مع كل مسافر.. وترقب يعلو الوجوه.. ولهفة في العيون.. وآذانٌ تستمع.. متى موعد الإقلاع؟!

ولأننا في حملة كبيـرة فقد تخلف البعض عن الرحلة لعدم وجود مـقاعد.. وكان من المتأخرين.. زوجي..

وصلنا إلى مطار الرياض وأخذنا جـانبًا من الصالة ونحن ننتظر مع الحجاج بقية أقاربنا

طال انتظارنا.. وعندما أُعلن عن وصول الرحلة القادمة..

حمدت الله وتدافعنا ننظر في وجوه القادمين..

وصل الجميع إلا زوجي

أحـد الحجـاج ممن كـان مـعنا.. أتى وهو مـتـردد في الكلام.. بطيء الحديث وأخبرنا.. أن زوجي سيتأخر لرحلة قادمة.. وأشار علينا أن نذهب بدلاً من الانتظار..

تساءلت في نفسي.. ولماذا هو الوحيد الذى لم يعد!؟

عندما وصلت فإذا بالهاتف يخبرنا أن زوجي أصابه إرهاق وتعب.. وقالوا.. هذا أمرٌ طبـيعى بعـد الحج.. وقد ذهب به أحـد الإخوة ممن كان مـعنا في المخيم إلى المستشفي..

انقطعت الأخبــار إلا عن طريق الهاتف.. وأخبار تأتي مجملةٌ.. ومتفرقة.. ومتأخرة!!

تسارعت الأحداث وشعرت أن الأمر كبير..

بدأت وفود الأقارب وحـديثهم يذكرني بالموت ووجوب الصبر.. وكأن الأمر كذلك؟!

في مغرب ذلك اليوم.. وقد اعتلى الحزن هامتي.. وطرق الخوف قلبى..

أقبل رجلٌ وقــور جاوز السبــعين.. يلتحف عباءة ويمسك بيــده عصا.. سلم عليَّ وقبل رأسي.. وسألني عن حالي..

ثم دوى صوته الهامس في أذني..

إحمدى الله.. لله ما أخذ وله ما أعطى وكل شيء عنده بمقدار..

قولي.. اللهم أجرنى في مصيبتي واخلفني خيرًا منها..

خفض صوته. واغرورقت عيناه بالدموع وقال.. مات إبني عبد الله..

وضعت رأسي على صدري وكتمت صوتي.. وأرسلت دمعي.

لا تزال بقايا رائحته في يدي .. بل وحتى قلمه وبعض أوراقه في حقيبتى..

.. بل ولباس إحرامه

أرى ثيابه في مكانها.. وحذاءه.. بل وكلماته الطيبة تعاودني في كل حين.

هناك سجادته التي يقوم فيــها مصليًا لله في السحر.. هنا أوراق التقويم التي يمزقها كل يوم بيده وهو يردد.. هذه أعمارنا..

في كل مكان له أثر.. وفي كل أمر له خبر..

في تلك الأيام سقطت دمعتي.. وسقط جنيني..

يجدد الحزن ويرسل الدمع.. مـا أتذكره من دعائه قبل الفجر.. رحمه الله على ما صام تلك الهـواجر.. وغفر له على ما قـام تلك الليالي.. وتجاوز عن سيئاته مثل ما تجاوز عن تقصيري وزلاتي..

ثلاث سنوات عشتها معه هانئة شاكرة..

أجدد التوبة فيـها كل يوم.. وبفراقه جددت التوبة وأنا أرى بعيني نهاية الدنيا.. وفجأة الموت

يتجدد أملي.. تعـتادني فرحتي.. وأنا أرفع يدي بالدعـاء.. أن يكون الملتـقى جنات عدن..

هناك.. حياة لا موت فيها

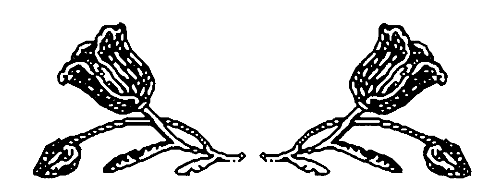
ونعيم لا شقاء بعده

حمدت الله على خاتمته الطيبة.. فقد كان في عبادة مُلبيًا مكبرًا..

وعندما ترددت أصوات التكبـير داخل الحرم تصلي عليه.. وهو مسجى أمام الكعبة.. حمدت الله على هذا الفضل العظيم..

تقبل الله حجه وسعيه.. وغفر زلته.. ورفع درجته..

حمدت الله بقي لى في الحياة متسع..





قال أحمد بن عاصم : هذه غنيمةٌ باردة، أصلح ما بقي من عمرك يُغفر لك ما مضى.

في زمن الجهل.. أو زمن الغفلة.. سمِّه ما شئت

عشت في سباتٍ عميق.. ونوم متصل..

ليلٌ لا فجر له.. وظلامٌ لا إشراق فيه..

الواجبات لا تعني شيئًا.. والأوامر والنواهي ليست في حياتى..

الحياة متعةٌ.. ولذة..

الحياة هى كل شىء.. غردت لها.. وشدوت لها..

الضحكة تسبقني.. والأغنية على لساني.. انطلاق بلا حدود.. وحياة بلا قيود

عشرون سنة مرت.. كل ما أريده بين يدي..

وعند العشرين.. أصبحت وردة تستحق القطاف..

من هو الفارس القادم؟ مواصفات.. وشروط..!!

أقبل.. تلُفه سحابة دخان.. ويسابقه.. صوت الموسيقى..

من نفس المجتمع.. ومن النائمين مثلي..

من توسد الذنب.. والتحف المعصية..

الطيور على أشكالها تقع.. طار بي في سماء سوداء.. معاصي.. ذنوب.. غردنا.. شدونا.. أخذنا الحياة طولاً وعرضا.. لا نعرف لطولها نهاية.. ولا لعرضها حدًا.. اهتماماتنا واحدة.. وطبائعنا مشتركة.. نبحث عن الأغنية الجديدة.

ونتجادل في مشاهدة المباريات..

هكذا.. عشر سنوات مضت منذ زواجي

كهبات النسيم تلفح وجهي المتعب.. سعادةٌ زائفة!!

في هذا العام يكتمل من عمري ثلاثون خريفًا.. كلها مضت.. وأنا أسير في نفق مظلم..

كضوء الشمس عندما يغزو ظلام الليل ويبدده..

كمطر الصيف.. صوت رعد.. وأضواء برق.. يتبعه.. انهمار المطر..

كان الحُلم يرسم القطرات.. والفرح.. قوس قزح..

* شريط قُدِّم لي من أعز قريباتي..

وعند الإهداء قالت.. إنه عن تربية الأبناء..

تذكرت أنني قد تحدثت معها عن تربية الأبناء منذ شهور مضت.. وربما أنها اهتمت بالأمر..

شريط الأبناء.. سمعته.. رغم أنه اليتيم بين الأشرطة الأخرى التي لدي.. سمعته مرةً.. وثانيةً..

لم أعجب به فحسب.. بل من شدة حرصي سجلت نقاطًا منه على ورقة.. لا أعرف ماذا حدث لي.. إعصار قوي.. زحزح جذور الغفلة من مكانها وأيقظ النائم من سباته.. لم أتوقع هذا القبول من نفسي.. بل وهذا التغير السريع.. لم يكن لى أن أستبدل شريط الغناء بشريط كهذا!!

طلبت أشرطة أخرى.. بدأت أصحو.. وأستيقظ..

أُفسر كل أمر.. إلا الهداية..

من الله.. وكفى..

هذه صحوتي.. وتلك كبوتي

هذه إنتباهتي.. وتلك غفوتي

ولكن ما يؤلمني.. أن بينهن.. ثلاثين عامًا من عمري مضت.. وأنَّى لي بعمرٍ كهذا للطاعة؟

دقات قلبي تغيرت.. ونبضات حياتي اختلفت.. أصبحت في يقظة.. ومن أولى مني بذلك.. كل ما في حياتي من بقايا السبات أزحته عن طريقي.. كل ما يحويه منزلي قذفت به.. كل ما علق بقلبي أزلته..

* أنت مندفعة.. ولا تُقدرين الأمور!! من أدخل برأسك أن هذا حرام.. وهذا حرام.. بعد عشر سنوات تقولين هذا..؟!

متى نزل التحريم..؟

قلت له.. هذا أمر الله وحُكمه..

نحن يا زوجي في نفق مظلم.. ونسير في منحدر خطير..

من اليوم.. بل من الآن يجب أن تحافظ على الصلاة..

نطق الشيطان على لسانه.. هكذا مرة واحدة؟

قلت له بحزم.. نعم

ولكن سباته عميق.. وغفلته طويلة

لم يتغير.. حاولت.. جاهدت

شرحت له الأمر.. دَعَوت له..

ربما.. لعل وعسى.. خوفته بالله.. والنار.. الحساب والعقاب.. بحفرة مظلمة.. وأهوال مقبلة

ولكن له قلبٌ كالصخر.. لا يلين!!

في وسط حزنٍ يلُفني.. وخوف من الأيام لا يفارقني عينٌ على أبنائي.. وعين تلمح السراب.. مع زوج لا يصلي وهناك بين آيات القرآن.. نار

تؤرقني..

﴿ما سلككم في سقر * قالوا لم نك من المصلين﴾

حدثته مرات ومرات.. وأريته فتوى العلماء.. قديمًا وحديثًا

من لا يصلي يجب أن تفارقه زوجته لأنه كافر ولن أقيم مع كافر..

التفت بكل برود وسخرية وهو يلامس جُرحًا ينزف

وأبناءَك.. ألستِ تحبينهم..؟

قلت.. ﴿فالله خير حافظًا وهو أرحم الراحمين﴾

* كحبات سبحة.. انفرط عقدها.. بدأت تتابع المصائب.. السخرية.. والإهانة.. التهديد.. والوعيد

لن ترينهم أبدًا.. أبدًا

أمور كثيرة.. بدأت أعاني منها.. وأكبر منها.. أنه لا يُصلي!!

وماذا يُرجى من شخص لا يُصلي؟

عشت في دوامة لا نهاية لها.. تقض مضجعي.. وفي قلق يسرق لذة نومي.. هاتفت بعض العلماء..

ليست المشكلة بذاتي.. بل بفؤادي.. أبنائي..

وعندما علمت خطورة الأمر.. وجوب طاعة الله ورسوله..

اخترت الدار الآخرة.. وجنة عرضها السموات والأرض على دنيا زائفة وحياة فانية.. وطلبت الطلاق..

كلمة مريرة على كل امرأة.. تُصيب مقتلاً.. وترمى بسهم.. ولكن انشرح لها قلبى.. وبرأ بها جُرحى.. وهدأت معها نفسي.. طاعة لله وقربةً.. أمسح بها ذنوب سنوات مضت.. وأغسل بها أردانًا سلفت

ابتُليتُ في نفسي.. وفي أبنائي..

أحاول أن أنساهم لبعض الوقت ولكن.. تذكرني دمعتي بهم

قال لي أحد أقربائي.. إذا لم يأت بهم قريبًا.. فالولاية شرعًا لك.. لأنه لا ولاية لكافر على مسلم.. وهو كافر.. وأبناؤكِ مسلمون..

تسليت بقصة يوسف وقلت.. ودمعة لا تفارق عيني.. ومن لي بصبر أبيه.

في صباحٍ بدد الحزن ضوءه.. طال ليله.. ونزف جُرحه لا بد أن أزور ابنتي في مدرستها

لم أعد أحتمل فراقها.. جذوة في قلبي تُحرقه.. لا بد أن أراها.. خشيت أن يذهب عقلي من شدة لهفي عليها..

عاهدت نفسي أن لا أظهر عواطفي.. ولا أُبيِّن مشاعري.. بل سأكون صامدة.. ولكن أين الصمود.. وأنا أحمل الحلوى في حقيبتي!!

جاوزت باب المدرسة متجهة إلى الداخل.. لم يهدأ قلبي من الخفقان.. ولن تستقر عيني في مكان.. يمنةً ويسرة أبحث عن ابنتي.. وعندما هويت على كرسي بجوار المديرة..

استعدت قوتي.. مسحت عرقًا يسيل على وجنتي.. ارتعاشٌ بأطراف أصابعي لا يُقاوم.. أخفيته خلف حقيبتي.. أنفاسي تعلو وتنخفض.. لساني التصق بفمي.. وشعرت بعطش شديد..

في جو أترقب فيه رؤية من أُحب.. تحدثت المديرة.. بسعة صدر.. وراحة بال..

أثنت على ابنتي.. وحفظها للقرآن.. طال الحديث.. وأنا مستمعة!!

وقفتُ في وجه المديـرة.. وهي تتحدث.. أريد أن أرى ابنتي.. فأنا مكلومة الفؤاد.. مجروحة القلب..

فُتح الباب..

وأقبلت.. كإطلالة قمر يتعثر في سُحب السماء..

غُشي على عيني.. وأرسلت دمعي..

ظهر ضعفي أمام المديرة.. حتى ارتفع صوتي.

ولكنى سمعت صوتًا حبيبًا.. كل ليلةٍ يوآنسني.. وفي كل شدة يثبتنى..

إصبـري.. لا تجزعي.. هذا ابتـلاء من الله ليرى صـدق توبتك.. لن يضيعكِ الله أبدًا.. من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه..

أُخيتي.. الفتنة هي الفتنة في الدين

كففت دمعي.. واريت جُرحي.. بثث حزني إلى الله..

خرجت.. وأنا ألوم نفسي.. لماذا أتيت..؟!

والأيام تمر بطيئة.. والساعات بالحزن مليئة

أتحسس أخبارهم.. أسأل عن أحوالهم؟!

ستة أشهر مضت.. قاسيت فيها ألم الفراق وذقت حلاوة الصبر. الباب يُطرق..

ومن يطرق الباب في عـصر هذا اليوم.. إنهم فلذات كبـدي لقد أتى بهم.. تزوج وأراد الخلاص

مرت ليلتـان.. عيني لم تشبع من رؤيتهم.. أذني لم تسـمع أعذب من أصواتهم..

تتابعت قبلاتي لهم تتابع حبات المطر تلامس أرض الروض

علمت أن الله استجاب دعوتي.. وردهم إليَّ

ولكن بقي أمر أكبر.. إنه تربيتهم

عُدت أتذكر يوم صحوتي.. وأبحث عن ذاك الشريط..

حمدت الله على التوبة..

تجاوزت النفق المظلم.. صبرت على الابتلاء

وأسأل الله.. الثبات

الثبات..



السيف

قال سلمة بن دينار لجلسائه: لوددتُ أن أحدكم يُبقي على دينه كما يبقي على نعله.

رمقتُ سقف الغرفة.. وأنا أنظر بعينين زائغتين

انقطعتُ عن الدنيا.. وغبت عن الحياة..

منذ أن تركت المدرسة.. لا أرى زميلة من زميلاتي..

سوى مُدَرِّستي «...» كل شهر أو شهرين تزورني..

بعد غدٍ موعد زيارتها..

أعد الدقائق واللحظات.. وأستعجل الليل والنهار

أحتاج إلى من يزورني.. ويخفف همي ووحدتي..

ولكن.. يتربع سؤال على لساني.. أين المحبة.. وأين الوفاء؟

من كن يسمعن ضحكاتي في المدرسة اختفين..

من سعدن بقربي في الصف الدراسي سنوات ذهبن..

وحيدةً أعيش.. الأنين رفيقي.. والألم سميري.. والهم والغم أنيسي.. تتجاذبني الأهواء.. شاردة ساهية.. حتى والدتي تعبت من الجلوس معي.. منذ زمن لم أر حفلاً.. ولا دُعيت لمناسبة.. ولو دعيت.. كيف أذهب؟! وأنا لا أتحرك بسهولة.. خاصة في مكان يحتاج إلى حركة ونشاط.. يحتاج إلى فرح وسرور.. وأنا لست كذلك

كلما فقدت الأمل.. وطوقني اليأس..

تأتي.. كما يُرش الماء على هشيم النار.. ويأتي عذب حديثها..

اصبري واحتسبي.. أمر المؤمن كله له خير..

عليك بذكر الله.. وقراءة القرآن..

لا تضيعي دقيقة واحدة من وقتك في الهواجس والخواطر

زيارة مدرستي قصيرة.. ولكن حديثها.. طويلٌ.. طويل يصل إلى أعماق القلب.. ويحيى الأمل في النفس..

عطر الكلمات يبقى وهى تودعني.. وتُبقي هدية كلما أتت. مجموعة من الكتب والأشرطة..

مرت سنة كاملة وهي تتعاهدني بالزيارة بين حين وآخر..

أخبرتني أنها ستتزوج.. فرحت بذلك.. ولكن بدأت تنقطع زيارتها.. تُباعدها الأيام.. رغم أني تحدثت عن حاجتي لرؤيتها ورأت دمعتي وأنا ألح عليها بزيارتي..

مع انقطاع أسعد اللحظات معها..

عشت في صراع رهيب.. الكلمات التي تأتي كالبلسم اختفت.. حديث القلب انقطع.. والابتسامة المشرقة غابت فترةٌ من الزمن مضت.. ثم اتصلت بي هاتفيًا..

شهقتُ بفرح.. هل ما زلت تتذكرينني؟!

قالت: أنت أمام ناظري.. أُفكر فيك في كل وقت وأدعو لك في صلاتي.. ولكن انتقل عمل زوجي..

ولا أخفيك.. لقد حاولتْ أن تزورك أُختي.. وربما نسيت أو انشغلت..

عاد الصمت..

انقطعت بنا الأيام من جديد.. وتباعدت الزيارات

في ليل طويل.. تطاول من الألم..

ولسود من ظلمة الدنيا في عيني

تناولت سماعة الهاتف.. سأتصل بابنة عمي..

كيف حالك.. لم أركِ منذ زمن.. أين أنت.. ؟

أجابت على عجل أنا مشغولة بـدراستي.. ولكن أخبيء لك مفاجأة.. وأى مفأجاة!!

قلت ما هي..؟ في زمن المرض والكآبة.. هل هناك مفاجآت!!

أحـسـست أن سكون حيـاتي سيتـحرك وركـود أيامي سيـجري.. هناك مفاجآت في حياتي

ولكنها أعادتني كسيرة الفؤاد.. غداً أُخبرك.. لن أخبرك اليوم..

انتهت المكالمة.. نامت قريرة العين.. أما أنا..!!

ربما غفوت مرةً أو مرتين..

وعندما غـالبتُ نفسي.. لا بد أن أنام حتى أكون مـستعدة للمـفاجأة.. صرخ هاتف المرض بداخلي

أنت نائمة منذ سنتين أو أكثر!!

في صباح الغد..

أتابع أشعة الشمس ترسل خيوطها في غرفتي

سألت نفسي.. ما هي المفأجاة؟

زيارة.. هدية.. كل شيء خطر على بالي توقعته

مـرت ساعـات طويلة تعـودت على مـرورها.. ولكن سـاعات اليـوم توقفت.. فالساعة لا تدق.. والشمس لا تجري..

بعد صلاة العصر

انتظرت وصولها ساعة كاملة.. ولم تأت.. اتصلتُ بالهاتف..

قالوا.. نائمة.. اتصلت بعد ساعاة فإذا بها لا تزال نائمة.

بعد صلاة المغرب.. وقد نفد صبري.. ولم يعد للمفاجأة أهمية في حياتي.. قلت لها حين أقبلت..

لم يبق لدى لهفةٌ وشوق لأسمع المفاجأة.. لقد تبلدت أحاسيسي

قالت: هوني عليك.. الأمر يعني لك كل شيء.

مفاجأة.. لن تتكرر.. فرصة عُمر

إنها فرصة تُنهي المرض.. وتنهضين من فراشك

فتحت فمي مدهوشة.. وقلبي يوشك أن يقفز من صدري.. ورعشةٌ بين أضلعي!!

قالت: اسمعي.. حدثتني زميلتي عن شخص صالح يعرف ماذا بكِ من الأمراض.. وبعد أن يراكِ يعطيكِ أدوية وأعشابًا تشفيكِ بإذن الله مما أنت فيه..

كثيرات ذهبن إليه..

فلانة ذهبت له.. وقد طرقت أبواب المستشفيات.. ولم تُنجب.. أُبشركِ.. حامل وهى الآن في الشهر الثالث..

وفلانة.. تعرفين مشاكلها مع زوجها.. كان يكرهها ولا يطيقها.. بل هددها بالطلاق..

ذهبت إليه.. أتعرفين!؟.. الآن لا يستطيع أن يفارقها..

قاطعتها.. إنه

قالت وصوتها يهز المكان..

أنتِ مسكينة.. ظلِّي مريضة طول عمرك

أتقبلين أن تعيشي هكذا..؟ ألا تريدين العافية..؟

ألا تبحثين عن الزوج وتكوين أُسرة..؟

ألا ترغبين في إنجاب طفل يملأ عليك حياتك؟

أحلامٌ تلاحقت أمامي.. وسمعتُ صراخ طفلي.. وبسمة الحياة حولي.. لم أفكر في مقاطعتها

استمرت في حديث الحُلم.. دغدغ مشاعري.. وأعمى بصري..

لو كتب الله لكِ العافية.. لعدتِ إلى حياتكِ.. ولتزوجتِ وأنجبتِ..

❊ بقية إيمان في قلبي صرخت تقول بصوت ضعيف إنه ساحر.. كاهن..

قالت.. هذا رجل صالح.. كثيرون ذهبوا له.. وعافاهم الله.. الله الشافي.. وهو سببٌ من الأسباب يداوي بالأعشاب والقراءة..

لحظات الضعف توالت.. خبت جذوة الإيمان في قلبي

وسَمِعَتْ صوتي وقد هزه الضعف.. وأنهكه المرض

متى نذهب..؟

انتفضَت واقفة بفرح.. تلوِّح بعباءتها.. الآن..

سأتصل بالهاتف قبل أن نذهب..

ثوان.. دقائق..

وإذا بي على مقعد بجوارها.. والسيارة تنهب الأرض..

قالت.. لا تتكلمي.. سأتولى كل شيء.. ثم أتبعتها بضحكةٍ قوية.. إذا تزوجتِ غداً تنسين معروفي معك..!!

في ليل مظلم.. غاب قمره.. وبقلب علاه رانٌ لم يسطع إيمانه.. طُرقٌ مظلمة.. وشوارع ضيقة..

توقفت السيارة.. التفتْ يمنة ويسرة.. ثم سألتْ السائق ألا يوجد أحد عند الباب؟ قال.. لا..

قالت.. اطرق الباب بهدوء

انتابني الخوف من تصرفاتها.. وكثرة التفاتها.. كأننا لصوص!!

صرير الباب يُسمع في هدوء الليل

رعب شديد.. دلفنا مع البـاب.. المكان موحش.. لا أثر للإضاءة في مدخله.. مظاهر الفقر والفوضى.. تطغى عليه..

أقبل علينا.. رجلٌ في منتصف الأربعين من عمره

جسمٌ هزيل.. وعينان غائرتان.. وأطراف مرتعشة..

تمنيت أن الأرض انشقت بي ولم آت إلى هنا..

نظراته. كـالسهـام.. تصـوب نحوي.. وبدأت يده تُمـسك بي.. لا أستطيع الحركة.. وخشيت أن أصرخ..

عقد الخوف لساني.. وجمدت أطرافي

رحم الله المرض.. لم أعاني في سنوات مضت ما أعانيه الآن..

قالت له.. وأنا ممسكة بيدها..

هذه ابنة عمي.. ونريدك أن تهتم بها.. ونعطيك ما تريد

قال بصوت أجش.. مزق سكون الظلام..

أنا.. لا تهمني المادة.. المهم عافيتها.. الشفاء من الله..

سعل بقوة شديدة ثم قرأ ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾

وأردف بضحكةٍ أخرجت أنيابًا في فمه..

بعد شهر لا تستطيعين اللحاق بها من سرعة الجري!!

ما اسمها ما شاء الله..؟ قالت.. فلانة..

واسم والدتها..؟ قالت.. فلانة..

وسيل من الأسئلة اندفع..

ثم سكت برهة ووجّه الحديث نحوي

سأخبرك بأمور إذا كانت صحيحة قولي نعم.. وإذا كانت غير ذلك قولي.. لا

كُنتِ بنتًا نشيطةً وفتاة محبوبة؟

قلت.. ورأسي يخط على رقبتي.. نعم

قال.. الكثيرات يغِرنَ منكِ ويحسدنكِ؟

قلت.. نعم

قال.. ذهبتِ إلى أطباء كثرين ولكن دون فائدة..؟

قلت.. نعم..

قال.. كنتِ متفوقة في دراستك..؟

قلت.. نعم

أخذ يسألني أسئلة.. إجابتها.. نعم..

ثم قال.. انتظرى..

تحرك كأنه جبل.. انزاح عن قلبي

التفتت إليَّ ابنة عمِّي.. بصوت هامس.. وحماس واضح..

أرأيتِ.. كل أسئلته صحيحة.. هذا خبير يعرف كل شيء..!!

بعد دقائق من حديثٍ متقطع.. أقبل علينا..

وحدثنا وكأنه يأمرنا بالخروج.. بعد يومين تأتين وحدك..

وأشار بيد مرتعشة إلى ابنة عمي..

خرجنا..

قلتُ.. الحمد لله الذي أخرجني من الظلمات إلى النور

بجواري ابنة عمي.. فرحةً مسرورة..

ولكني.. ازددت ألمًا على ألمي.. وحزنًا على حزني.. شعور بداخلي يرتفع.. ويصرخ في أذني.. تقدمتِ خطوة إلى النار.. لم أنم تلك الليلة.. خواطر تعاقبت.. وألمٌ يغرس سيفه في قلبي.. أين ذهبتِ في تلك الأزقة؟ والطرق المظلمة؟ كلما تذكرت مظهره.. انتابنى الخوف.. وكلما تحسست موضع يده.. اقشعر جلدي..

عاتبتُ نفسي.. حتى بكيتُ بحرقة.. ولكن لحظاتٌ تمر..

ولا يزال الأمل بالعافية يدغدغ مشاعري.. وخطرات في عقلي..

ألم تسمعيه وهو يقرأ القرآن.. وهو يردد العافية من الله؟

رجل صالح.. رجل ساحر

لا بل صالح.. بل ساحر!!

اختلطت الأمور.. وأظلمت السماء.. ورداء الخوف يلُفني

بعد يومين.

أقبلت ابنة عمي تنادي بصوت مرتفع..

احفظي.. لا بل أين القلم؟!

اكتبي.. هذه تُشرب في الصباح.. وهذه في المساء تؤكل.. وهذا تتبخرين به في الليل.. وهذا.. قائمة طويلة..

تعجبت.. كل هذا..؟

قالت.. يا وفاء العافية تُشتري..

وأردفت بحرص.. لا تهملي في العلاج.. فهو علاج دقيق..

لاحظَت عدم مبالاتي.. بصوت مرتفع كعادتها..

لقد دفعتُ مبلغ «.....»

صُعِقتُ من المبلغ وكثرته.. وتساءلت.. صحيح..؟

قالت.. نعم..وعافيتكِ لو أبيع كل ما أملك لاشتريتها لكِ

ابدئي الآن!!

* شربتُ.. وأكلت.. وتبخرت..

ولم أر حلمًا جميلاً كما قال لي.. بل رأيت أحلامًا مزعجة حيات.. عقارب.. أفاعٍ.. كوابيس مزعجة.. ونومٌ متقطع!!

وفي اليوم الثاني.. حسب ما قال لى..

«ستشعرين بكذا وكذا في الليلة الثانية»

لم أشعر بشيء مطلقًا.. ولم تتحرك شعرة في رأسي..

بعد شهر من الأدوية والعلاج.. بدأ الحماس يفتر والفرح يخبو..

* في مساء يوم جميل. .دلفَت مع الباب. . إنها مُدرستي اختلفت كثيراً. .

بهاء السعادة يُطل من عينيها. . وفرح عريض على شفتيها. . زادت أناقتها مع بساطة واضحة. . بشوشة كما هي لم تتغير. .

قبلتني بين عيني. . سألتني عن كل فرد في المنزل

وعن والدتي. . ووالدي

ما أحسن خلقها. . وما أصدق ابتسامتها. .

في حديث لتهوِّن عليَّ ما أنا فيه. .

روت لي قصة شاب مقعد. . مشلول

طريح الفراش. . ثم تابعت. .

احمدي الله. . أنت تتكلمين وتشعرين. . غيرك لا يشعر بما حوله. .

هوَّنت الأمر عليَّ. .

واستمر الحديث. . وصدري يغلي بما فيه. . أريد أن أتحدث عن كل شيء. .

كلما لمستُ صدق محبتها ولطفها شعرت أنني في حاجة إلى مصارحتها. . سأخبرها بالأمر. .

تحرك لساني ببطء. . استعدت الذاكرة. . وأحداثٌ لا تُنسى. .

عاد الرعب لقلبي. والرعشة لأطرافي. .

بدأتُ في الحديث. . إنصات عجيب. . وحضورٌ متوقد. . صوتي يروح ويغدو في المكان. .

وعندما توقفت عند آخر كلمة.. «لم أجد شفاءً»..

ألقيت إليها بمهمة الكلام..

قالت لي مخاطبة.. إنا لله وإنا إليه راجعون.. كيف وافقت على الذهاب؟ بل كيف تطرقين هذا الباب؟ تبحثين عن العافية بمعصية الله؟ أما سمعت حديث الرسول ﷺ **«من أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد»**

سكتت برهة.. قلت بهدوء.. أعلم أن ما تقولين صحيح ولكن ضَعُفَ إيماني.. في لحظات.. سقط كل شيء.. وذَهبْت. وبكيتُ بحرقة بعد أن رجعت..

لإزالة ما بقي من هواجس وخواطر..

عدتُ لأقول.. وأدافع عن نفسي.. فأنا صريعة الأمواج.. لا مقر.. ولا مفر.. لقد قرأ آيات من القرآن

وسمعته يقول إن الله هو الشافي المعافي ليس أنا.. لا تهمه المادة... و...

قالت لي...

هل يدل مظهره على أنه من أهل الصلاح والتقوى؟

قلت.. لا

قالت.. الأوراق التي قال تبخري بها.. هل قرأتيها..؟

قلت.. لا تقرأ.. طلاسم.. رموز.. أرقام..

سَألَتْ وأسَى ألمحَه على وجهها

ألم يقل لك ما اسم أمّك؟.. ما فائدة الاسم في العلاج..؟

قلت لها مدافعةً وأنا أعلم خطئي.. أخبرني بأشياء صحيحة في واقع حياتي..

قالت.. وقد هزت يدها.. كل ما قاله ينطبق على أغلب الناس.. أعيدي الأسئلة عليَّ أنا.. لترين..

لا تنخدعي.. بهذا الأسلوب الماكر.. يُثبت لك بأسئلة عامة أنه يعرف كل شيء..

تحول الحديث إلى نقاش طويل..

سألتني. ألم يقل لك اذبحي ديكًا أو كبشًا.؟

قلت لها.. لم يُلزمني بذلك.. قال: إن فعلتِ فهذا أفضل.. يطرد الشياطين.. ويحميك من الشرور

قالت.. والله ضاع التوحيد.. كنت تقفين على بعد خطوات من النار..

اسمعي.. وأنصتي.. قصة تؤدي نهايتها إلى طريقين.. إما الجنة.. وإما إلى نار

قال ﷺ: **«دخل الجنة رجل في ذباب، ودخل النار رجلٌ في ذباب»**

قالوا: وكيف ذلك يا رسول الله؟

قال: **«مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجاوزه أحد حتى يُقرِّب له شيئًا**

قالوا لأحدهما: قرِّب..

قال: ليس عندي شيءٌ أُقرِّب

قالوا: قرِّب، ولو ذبابًا..

فقرب ذبابًا فخلوا سبيله.. فدخل النار..

وقالوا للآخر: قرِّب

قال: ما كنت لأُقرِّب لأحدٍ شيئًا دون الله عز وجل.

فضربوا عنقه.. فدخل الجنة..»

تأملي الحديث.. وتأملي عِظَم الأمر..

لا يغلبنك الشيطان.. ولا يُضعفك المرض

عليك بالرقية بالقرآن.. سواءً قرأت لنفسك وهذا أكثر إخلاصًا.. أو قرأ ونفث عليك شخص معروف بالصلاح والتقى.. تسمعين قراءته للقرآن.. لا طلاسم ولا همهمة ولا رموز وتعتقدين أن الرقية لا تؤثر بذاتها.. بل بتقدير الله عز وجل

قالت بصوت فيه مرارة الألم..

لو مِتّ على التوحيد وأنت مريضة.. خير لك من أن تحيي مشركة.. اسألي الله العافية.. وعليك بالرقية الشرعية..

تأملي حاله.. لو كان يقدر على خير لقدمه لنفسه.. ألم تري بؤسه وفقره؟

قلت.. بلى..

قالت: من أحب إليه.. أنت أم نفسه؟.. لماذا لم ينفع نفسه؟ هذه أبواب تؤدي إلى النار.. في سبيل دنيا عمرها قصير.. تهوين في نار جهنم.

﴿إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾ صرختُ منتفضة.. والإيمان يعمر قلبي.. ودمعة تسقط من عيني..

والحل..؟

قالت: عليك بالتوبة فبابها مفتوح..

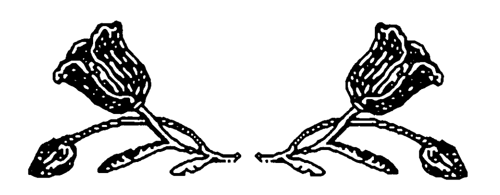
واحرصي على ابنة عمك.. لا تذهب مرة أخرى..

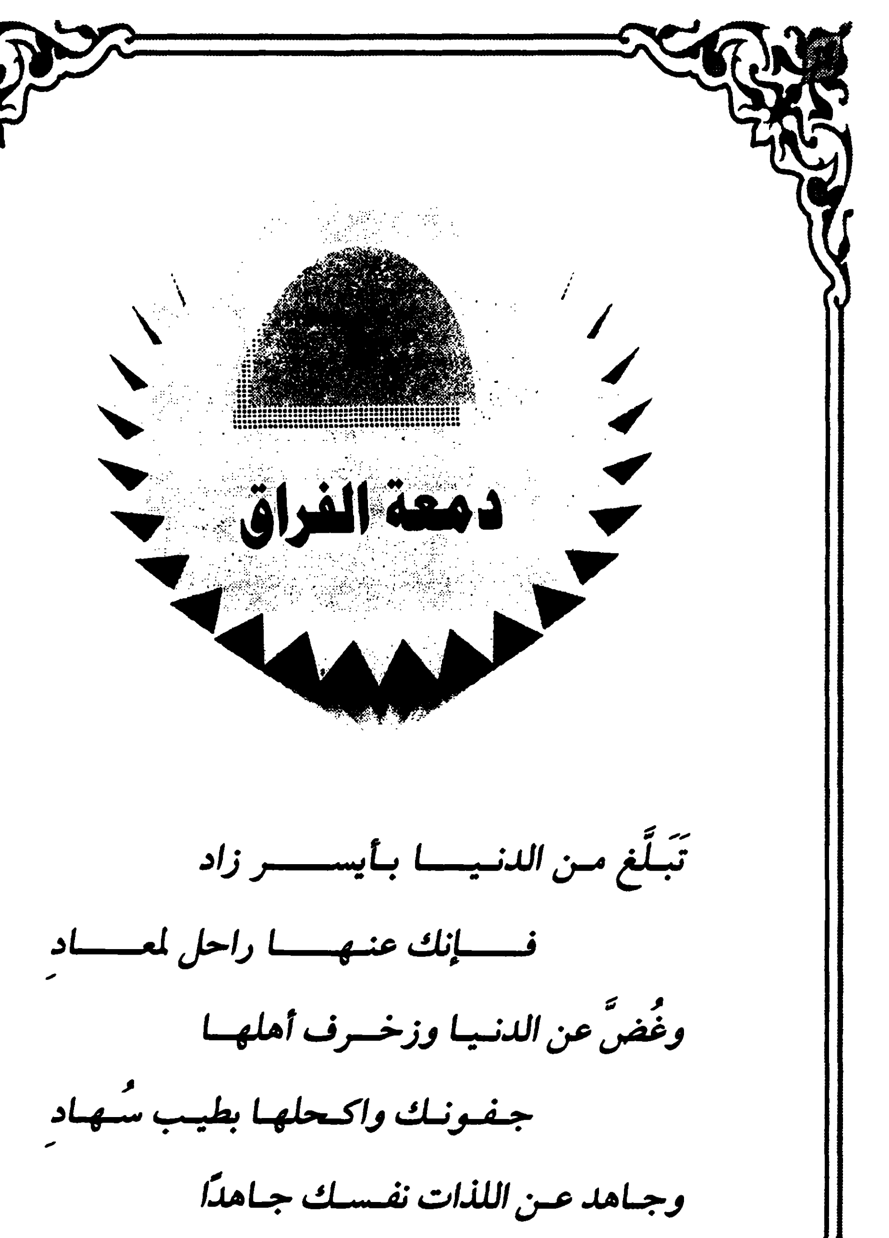
ثم حتى تبرأ ذمتكِ..

يجب أن تخبري عنه.. لكي يُمنع شره.. ويأخذ جزاءه.. ولخطورة عمله..

فالساحر.. لا يُستتاب مثل تارك الصلاة مثلاً..

بل يُمر السيف على رقبته..





دمعة الفراق

تَبَلَّغ من الدنيا بأيسر زاد

فإنك عنها راحل لمعادِ

وغُضَّ عن الدنيا وزخرف أهلها

جفونك واكحلها بطيب سُهادِ

وجاهد عن اللذات نفسك جاهدًا

فإن جهاد النفس خيرُ جهادِ

ما هي إلا دار لهو وفتنة

وإن قُصَارى أهلها لنفادِ

في مساء ذلك اليوم.. سمعهم يتحدثون.. العيد ربما يكون غدًا..

ولمشاركتــه في الحديث وإنصاته لهم.. ألقــوا إليه حملاً ثقيــلاً.. عندما طلبوا منه وهو طفل صغير.. أن يسمع أصــوات المدافع مشيرة إلى أن الشهر لم يكتمل وأن غدًا هو يوم العيد..

تولى المهــمــة بهمــة عــاليــة.. ورجولة مــبكرة.. ترك مــا حــوله من الألعاب.. ونسي أقرانه من الأطفال.. أصغى بسمعه.. وأرهف جوارحه.. وكأن العيد أصبح مسئوليته!!

صعــد إلى أعلى المنزل.. وخرج إلى الساحــة.. وأخيرًا.. اخــتار أهدأ النوافذ وأبعدها عن الضجيج..

مرت ســاعات طويلة من الانتظار.. ذرع خلالهــا المنزل ذهابًا وعودة.. بعدها اهتزت أذنه فــرحًا عندما سمع أصوات المدافع.. وبدت واضحــة أكثر عندما توقف إمــام المسجد عن أداء صــلاة التروايح.. بدا له أنه انتزع العــيد انتزاعًا من تلك الليلة المظلمة وأتى بهلال شهر شوال..

هرول مســرعًا إلى جــدته ليزف البشــرى التي ينتظرها الجــميع.. والتي أداها على خيــر وجه.. وكان صــوته يسبقــه مجلجلاً فــي أرجاء المنزل يعلن قدوم العيد..

لشدة هوله.. تــوقف..!! لمح جدته في مصــلاها وعيناها تدمــعان.. اقترب منها ورفع صوته معلنًا قدومه.. وقــدوم العيد.. وعيناه تتابعان سقوط تلك الدمــوع على مصلاها.. انــتبهت لاقــترابه ورفــعت رأسهــا.. أخفتِ

الدموع بيدها.. قبلت جبينه.. وأعلنت فرحها لفرحه بالعيد..

سنين طويلة.. مرت من عمره.. علم فيها أن تلك الدمعة تعبير صادق عن فقدان شهر عزيز.. وأيام كريمة.. شهر رمضان.. هذا حُزن من يفرح بقدوم مواسم الخيرات ثم انقضائها.. تَبقى في نفسه لوعةٌ لفراق هذا الشهر.. شهر الخير والعطاء.. تجعله يتمنى أن السنة كلها رمضان..

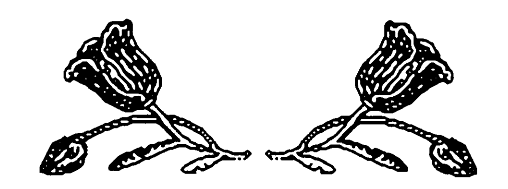
* بعد أن كبر الطفل وأصبح رجلاً.. رأى الموازين انقلبت.. والأمور تغيرت.. والأحوال تبدلت.. رأى بأم عينه التي رأت تلك الدمعة.. من يفرح بإعلان العيد هربًا من رمضان.. رأى من يترك كل عبادة وطاعة يؤديها مع إعلان العيد.. وكأن فجر العيد إعلان بترك الطاعات والواجبات.. وإيذان بموسم المعاصي والمحرمات..

تأكد من ذلك عندما سمع الإمام يرفع صوته من على المنبر في صلاة الجمعة التي تلي شهر رمضان.. وقد خلا المسجد من المصلين إلا قليلاً.. وهو يتساءل.. أين من كان يصلي معنا في رمضان؟ لقد امتلأ بهم المسجد على سعته.. لقد حافظوا على الصلاة في شهر رمضان.. ثم أردف بحرقة وألم.. أين هم الآن؟ ثم كرر السؤال.. هل قدموا من كوكب آخر؟

ولكن صوت الإمام يضيع في تلك الصفوف الخالية.. ولا مجيب!! تساءل.. والدمعة يراها في عين جدته.. ومرارة الفراق على قسمات وجهها.. أهكذا يودع رمضان بهذه الجفوة وهذا الإصرار؟.. ألا يُعرف المسجد.. ولا يقرأ القرآن إلا في رمضان؟ شهر رمضان مدرسة لتربية النفوس لتستمر طوال العام بنفس الهمة والنشاط دون كلل ولا ملل ولا فتور..

ولكن. . ما نراه اليوم منذ أن يودَّع رمضــان تُودَّع المساجد إلى العام القادم؟! يطوى المصحف إلى رمضان القادم؟!. . تـترك الطاعات والقربات إلى العام القادم؟!. . يُغفل عن النوافل. . وتترك الواجبات. . والله سبحانه وتعالى قد حدد وقت نهاية الأعمال بقوله تعالى: **﴿واعبد ربك حتى يأتيك اليقين﴾**.

واليقين هو الموت.. لا مدفع العيد..!!





الهاويـــة

قال بلال بن سعد : رُبَّ مسرور مغبون يأكل ويشرب ويضحك، وقد حُقَّ له في كتاب الله عز وجل أنه من وقود النار.

وأنا أحمل إبريق الشاي.. بدا لي أن كل شيء يتحرك من مكانه الأكواب.. تقدمت إلى الأمام وإبريق الشاى رجع إلى الخلف ولكني أمسكت بقوة على صينية الشاى حتى وضعتها..

ناداني أخي.. تعالي هنا

تحركت ببطء يلفه الخجل.. وبخجل يحركه الارتباك

ولما جلست.. فإذا عينيَّ بعينه..!!

بدأت أضغط على يدي وأحرك أصابعي بقوة..

لم أشعر بالألم ولا بشيء حولي

غشاوةٌ على عيني.. ودقات قلبي تُسمع من بعيد..

وقطرات الماء من جبيني.. سالت أودية وأنهارًا

كان حديث أخي والخاطب.. عن الجو هذه الأيام

والمطر.. وكثرة الخير

سألني.. كيف حالك؟

سمعتُ السؤال.. ولكني فقدت الجواب

لساني استعصى عليَّ.. وتحولت حركته إلى جمود..

انتزعته انتزاعًا من فمي

وقلت بصوت لا يُسمع.. الحمد لله

فكرتُ أن أهرب..

ولكن قدميَّ تقول.. لا. لن تتحركي!!

لا حظ سكوتي وارتباكي.. ووجه الحديث إلى أخي..

وجدتها فرصةٌ لا تُعوض.. اهربي

بعد لحـظات كنت أتنفس الصعـداء.. شربت كـوبًا من الماء.. وأتبعـته بثانٍ.

عندما هدأت أعصابي قليلاً.. سألتني أختي..

كل هذا حياء؟!

قلت لهـا.. ما هو شعـورك.. ترين رجلاً لأول مـرة.. ليس مَحـرمًا لك؟

* بعد أسبوع.. إذا بالرجل يطرق الباب

جلس مع أبي.. وتحدث إليه.. ثم قدم له المهر..

كان أبي رجلاً حازمًا.. ملأته السنون حكمة وتجاربًا

قال له: ما هذا يا بني؟

قال: هذا مهرٌ لعفاف..

وفاجأه أبي.. كل هذا مهر.. ماذا تفعل به ابنتي؟

ارتبك الشاب.. وأجاب

تشتري به ملابس .. وحُلي..

أجاب أبي بلطف..

هذا المهر.. وأخذ مبلغًا يسيرًا وناوله ما تبقى..

وهو يحدثه..

الذهب.. ابنتي لا تعرف شراء الذهب.. إشتريه أنت..

أما الملابس.. فسنجهزها بما تيسر.. ثم عليك كسوتها

يا بُني: أكثر النساء بركة أيسرهن مؤنة..

ونحن اشتريناك من بين من تقدم.. وفضلناك على كل من أتى.. لا تخُيب أملنا فيك.. لم نزوجها إياك إلا لتُكرمها.. وتُعينها على الطاعة والخير

تمت الأمور.. فرح الجميع.. بما فيهم أنا..

رجلٌ كما ذكر أخي.. لا تفارقه الابتسامة.. على محياه الخير لا يترك صلاة الجماعة.. بارٌّ بوالديه.. جمع بين الخُلق والدين

صفات كافية لأعلن فرحي به.

حمدت الله.. حدثت نفسي.. بقي الكثير.. بدأت رحلة العذاب.. وأي عذاب إنها رحلة الأسواق..

في ما مضى لا نذهب للسوق إلا نادرًا

الآن تغير الأمر.. لا بد أن نذهب كل أسبوع..

شحذ للهمم.. وترتيب للوقت.. وحساب للمصاريف.. «نجهز عروسًا»

فكرت.. لماذا لا نتجهز للقبر هكذا؟!

استعداد.. وهمة.. واستقطاع من وقت أبي وأخي.. وسؤال عن ذا وذاك.. أين نجده وكم ثمنه؟!

مع أبواب الأسواق.. ندلف إلى فتن.. ومزاحمةٌ للرجال..

هذا أمر لا يُطاق.. ألقيت بحمل ثقيل على أخي..

شراء بعض ما أريد

تحدثت مع أختي.. يجب أن ننظم أنفسنا ونرتب أوقاتنا..

كتبت ورقة فيها ما أحتاجه.. ثم وزعتها على حسب الأمكنة والأيام..

وبهذا حددت أين أذهب وماذا أشترى..

لن أبدأ حياتى الزوجية بذنوب ومعاص.. أبحث عن التوفيق.. وهو لا شك في طاعة الله وامتثال أوامره..

ذهبت مرة للسوق.. ولعلى اشتريت الكثير مما أريد

فأنا أعرف أين أذهب وماذا أشتري.. فالقائمة بيدي..

❊ مرة أخرى..

ذهبت.. وعندما دخلت إلى محل أخذت منه بعض ما أريد.. ولكن كان هناك زحامٌ شديد.. نساء في كل زاوية.. وأمام كل بائع.. الجميع يشتركن في أنهن بنات الإسلام..

ولكن البون شاسع.. والفرق واضح

إحداهن مُظهرة لشعرها.. وأخرى كاشفةٌ عن وجهها.. وثالثة تسمع صوتها يُجلجل في المكان.

فكرت أن أتحدث مع كاشفة الوجه.. من أبانت عن زينتها.. ألا تخافين من العقاب؟

وجهك الجميل.. كيف يصبر على النار؟

تذكري.. إذا وسدتِ في القبر..!!

تذكري يوم العرض على الله!!

ماذا تقولين يوم الحساب؟

واستجمعتُ كلمات.. ولكن المكان مليء ومكتظ بالمتسوقين.. وفضلت أن أُبعد صوتي عن مسامع الرجال.. أبحث عن هدوء.. عن مكان أنصحها فيه.. وأنا أفكر في اختيار الوقت المناسب.. إذا بشاب عليه ملامح الخير.. ومعه امرأة.. ربما زوجته أو أخته..

* هاتَفها..

يا أختي.. عليك بالتستر.. لو غطيت وجهك لكان خيرًا لك..

رأيت الحياء سقط من النساء.. عندما رفعت صوتها..

ما شأنك أنت؟

سكتَ قليلاً.. والأنظار متجهة إليه ثم قال.. يا أُختي.. كلامك خطير.. ويخشى عليك الكفر.. لا تأخذك العزة بالإثم.. توبى إلى الله..

ثم خفض صوته.. وهو يدعو.. هداك الله.. وخرج..

توقعت أن الأمر انتهى بخروجه..

ولكن لاحقته النبال والسهام..

فضولي.. ما شأنه.. الكل يريد أن يأمر وينهي..

أما أنا فقد شغل ذهني قوله.. يُخشى عليك الكفر..

كيف يقول هذا؟

سألت أخي.. ووعدني خيرًا.. سأبحث لك الأمر..

ولكن مضى أسبوع بدون أن أسمع الجواب؟

قلت في نفسي.. هل الرجل قال هذا الكلام جُزافًا.. وهل يقبلُ مسلمٌ ناصح أن يقول على الله ما لا يعلم؟

وعزمت.. إن شاء الله بهمـتي سأبحث عن ذلك.. سألت وسألت.. ولكن بدون أن أجد جـوابًا شافيًا.. في زحـمة انشغالي.. نسـيت الأمر بل وتوقفت عن السؤال..

وبعد شهور.. من زواجي عادت الكلمات إلى أذني..

سألت زوجي:

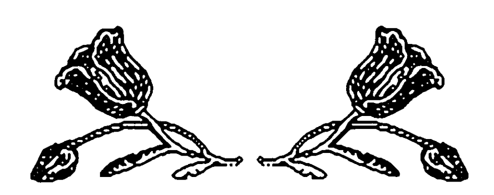
قال: كلامه صحيح وقد سمعت به ولكن أين؟ لا أذكر..

ومـضت الأيام.. حـتى قـرأت قدرًا مـا بحـثت عنه مـرات عـديدة.. وصدمت من هول المفاجأة..

في حاشية ابن عابدين أن من قال «فضولي» لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فهو مـرتد.. وقرأت أيضًا.. فالقائل لمن يأمر بالمعـروف أنت فضولي يخشى عليه الكفر..

أعدت القراءة مرة أخرى.. وسألت نفسي..

هل بلغ الجهل بالناس إلى هذا الحد.. محاربة الله ورسوله.. والارتداد عن الإسلام..





بُـــدور

وحـدثتـك الليـالي أن شـيـمـتَـــهـا
تفـريق مـا جَـمـعْـتَـه فـاسمع الخـبـرا

وكن على حـذرٍ منهـا فـقـد نصـحتْ
وانظر إليــهـا ترى الآيات والعــبـرا

فـهـل رأيت جـديدًا لـم يعـد خَلِـقًـا
وهل سـمـعت بصـفـوٍ لم يعـد كـدرا

أقبلت ابنتي بدور.. يسبقها صوت كتغريد الطيور.. وما أن التفتُّ إليها فإذا بها تجري نحوي بسرعة رافعةً يديها..

ضممتها بقوة.. وتحسست أطراف أصابعها تخترق جسمي.. أغمضت عينيَّ.. حمدت الله.. نعمٌ كثيرة..

زوج وطفلة.. وسعادة وارفة الظلال..

تذكرت تلك الأيام الأولى.. وأنا ما زلت في المرحلة الثانوية.. ولكن بحكم القرابة وافق الأهل.. سنوات مضت من تلك اللحظة التى علمت بأن عادل تقدم لخطبتي

كانت قلوب الكثيرات تتمناه.. جمع بين حُسن الخلق والدين..

* بعد انتظار طويل تم عقد الزواج بعد أن نلت شهادتي الجامعية.. بدأنا نفكر في المستقبل..

ونحن في بداية الطريق.. والآمال كبيرة.. والطموحات كثيرة.. تم التعاقد معه للعمل في المملكة..

سافر وحده.. وبقي في غربته.. وأنا وحيدةٌ في غربتي..

بعد عام ونصف من بعد المسافات ومن الشوق والحنين

قدمت إليه وكلي خوفٌ من الغربة الجديدة.. وخوف من الوحدة.. كيف سأعيش بعيدة عن أهلي وأقاربي..

ولكن تذكرت أن هنا زوجًا ينتظرني ذا خلقٍ ودين.. ما حلمت به في منامي ويقظتي من صفات وجدتها فيه..

حُسن المعاشرة.. لينُ الجانب.. بشاشة الوجه.. صفاءُ النفس.. صدق الحديث.. منحني من الحنان أوفره ومن العطف أكثره.. جمعت بيننا الغربة.. ونمت في قلوبنا المودة

أشياؤه البسيطة.. أحببتها..

أحيانًا يطلب كأسًا من الماء أو الشاي.. يُتبعه الثناء والشكر

عجبتُ من أدبه وحسن تعامله.

قلت له: لا تشكرني على خدمتك.. هذا واجبي نحوك..

ولكنه كان يغمرني بطيب أخلاقه..

حمدت الله وشكرته.. أن رزقني بزوج مسح دموع الغربة وعوضني فقد من أُحب..

كان لي نعم الزوج والأب والأهل..

* وأنا في الشهور الأخيرة من حملي..

لم يرهقني بطلب.. ولم يأمرني بما لا أستطيع

بل كان يقدم لي سؤالاً قبل طلبه

هل أنت مرهقة..؟ هل أنت متعبة؟

كان يشاركني فَرحَه.. وحُلمه.. ويقول إن رزقنا الله طفلاً.. سنسميه بلالاً.. كان يحب بلالاً مؤذن رسول الله ﷺ

تمر الأيام الأخيرة للحمل.. وأضع طفلة كالبدر.. أسميناها بدور.. سألته يومًا وهو يداعبها..

هل أنت حزين لأنها أتت بدور.. ولم يأت بلال..؟

قال لي: إن هذا رزق الله **﴿يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور﴾** ومن رزقنا بدورًا.. يرزقنا بلالا.. إن شاء الله

الحمد لله.. ظِلُّ السعادة يزيد.. وشجرة المحبة تكبر وتنمو. ومن نِعم الله علينا.. قدومنا إلى هذه البلاد..

حيث دروس العلماء.. والمحاضرات والندوات.. وحتى مجتمع المدرسة مجتمع تناصح وخير.. أهدتني زميلة لي في المدرسة.. شريط.. «**أيتها المرأة الحجاب أو النار**» لأحد العلماء..

بمجرد سماعي لهذا الشريط. هداني الله لغطاء وجهي..

كان زوجي يفرح بسماع أذان الفجر.. يهب من فراشه مسرعًا.. يوقظني.. ويخرج للصلاة.. وكانت وصيته لي وأنا ذاهبة للمدرسة أنت مربية الأجيال.. عليك بالإخلاص.. واحذري الغيبة والنميمة.. إن كان في حديثك خيرٌ فتحدثي.. لا خير في حديث تندمين عليه يوم القيامة..

في ذهابنا وعودتنا.. غالبًا نسمع شريطًا لأحد العلماء..

مرت الأيام حلوة جميلة.. كهبات نسيم مُعطرة..

❊ وفي يوم.. مثل بقية الأيام..

ذهبت للمدرسة.. وعندما خرجت بعد صلاة الظهر من المدرسة.. رأيته على غير عادته ماذا بك..؟ قال.. مرهق وأحس بدوار في رأسي

وعندما وصلنا إلى المنزل.. جهزت له طعام الغداء..

لم يستطع أن يتحرك من سريره.. أطعمته بيدي

كررت عليه السؤال.. ما بك؟!

قال.. مرهق وأريد أن أرتاح..

تركته نائمًا حتى موعد صلاة العصر.. أيقظته.. لم يستطع أن يستيقظ.. اتصلت بالجيران.. ذهبت معهم إلى المستشفى..

* وهناك.. كانت بداية النهاية..

أتى الطبيب بخطوات سريعة.. وقال لي.. حالة زوجك حرجة وهناك اشتباه فى وجود التهاب على قشرة المخ..

ثم فَصَّلَ الأمر..

هناك نوعان.. نوع بسيط.. ونوعٌ خطير

تقبلت الخبر بثبات.. وما كنت أظن أني كذلك..

حتى الساعة الواحدة والنصف ليلاً وأنا أصلي وأدعو الله أن يشفيه.. ظل فى غيبوبة ثلاثة أيام متواصلة من ظهر يوم الأربعاء.. ومرورًا بيوميّ الخميس والجمعة..

وفي صباح يوم السبت.. تحسنت حالته وأفاق من غيبوبته وبدأ يعرف الزائرين شكلاً.. وعندما اقتربت منه..

قلت له.. هل عرفتني يا عادل؟

قال.. لا..

قلت له أتعرف بدور؟

قال: هى ابنتي..

أردفت بسرعة.. أنا أم بدور..

تبسم ضاحكًا.. وقال.. أنت زوجتي!!

بكيت بكاء مرًا . .

قبل ثلاثة أيام . . كيف كان حاله . . ذاكرته . . عقله . . سؤاله عني . . واليوم تبدلت الأحوال . . لا يعرف حتى أحب الناس إليه . . لا يعرف زوجته وابنته . . ! !

طال بي التفكير . . ولم أنس ذكر الله . . وتنبهت على صوت الإمام يقرأ في الصلاة . . وكأنه يخاطبني . .

﴿يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين﴾ . .

وأنا أتابع الآيات تتابعت دموعي . . وعلمت أنني من أصحاب هذه الآية . .

﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين ۞ الذين إذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

نحن هنا في غربة . . وبفقد الزوج . . في مصيبة . . من يذهب بي إليه في المستشفى . . من يأتي معي . . إنها غربة وأشد أنواع الغربة خاصة إذا كانت امرأة ضعيفة مثلي . . وحيدة في بيتها . . لا أخ ولا أب ولا زوج . .

في يوم الأحد كتمت حزني . . ذهبت مع أحد أصدقائه وزوجته . . اليوم سعادتي لا توصف وفرحي لا نهاية له . . عرفني زوجي . . وعرف كل من ذهب إليه

شد انتباه من حوله . . أن كل زائر ملتحٍ يبتسم له ويعرفه . . ولكنه لا يستطيع تذكر الأسماء . . أما أنا زوجته وأم أبنائه . . عرفني منذ أن رآني . . وناداني باسمي . . وابتسم في وجهي . .

كأني لم أذق طعم السعادة إلا اليوم.. وكأني لم أسمع اسمي على لسانه إلا هذه المرة..

طلب مني أن يتوضأ للصلاة ويصلي ما فاته من الصلوات فى الأيام الماضية.. هاجسه الأذان.. وحديثه الصلاة..

* في أحداث سريعة..

يوم الاثنين.. نقلوه إلى غرفة بمفرده لأن الفيروس انتشر في جسمه وزادت حرارته.. كان هذا اليوم.. يومًا مشهودًا في حياته..

كل يوم أزوره من الساعة الثالثة حتى الساعة الخامسة.. ومن الساعة السابعة حتى التاسعة.. وأراد الله هذا اليوم أن أبقى معه من الثالثة وحتى التاسعة.. وأنا أضع له الكمادات على وجهه ويديه ورجليه.. ولكن حرارته في ازدياد..

بدأت أقرأ القرآن بصوت يسمعه..

وعندما توقفت برهة عن القراءة لكي أضع الكمادات على قدميه..

قال لي.. افتحي جهاز التسجيل..

فرحت وقلت له.. تريد أن تسمع القرآن يا عادل

قال.. طبعًا..

أكملت له التلاوة إلى أن أتى موعد الزيارة الثانية وحضر بعض زملائه وأصدقائه.. ومنهم صديق له ملتزم يحبه ويوده..

تبسم زوجي عندما شاهده.. ومد يده نحوه ليُسلم عليه..

ولكن كانت فرحتي أكبر فمددت يدي بسرعة.. وصافحت زوجي..

وكان آخر سلام ومصافحة له..

ذهبت إلى منزلي فارغة القلب.. مهمومة النفس أغالب الحزن.. وأسأل الله الثبات

* مع تباشير فجر يوم الثلاثاء.. والمؤذن يرفع صوته بالآذان.. الله أكبر.. الله أكبر..

فتح عادل عينيه وجلس نصف جلسة على سريره.. ونظر بعينيه إلى السماء..

ثم رجع إلى الخلف وأغمض عينيه.. وصعدت روحه إلى بارئها..

كل إنسان له نهاية.. وقد حانت نهايته.. في هذا اليوم.. أصبح من أهل الدنيا.. وأمسى من أهل الآخرة

* في الصباح.. بحثت عمن يذهب بي إلى المستشفى وتطوع أحد الجيران مع زوجته شعرت أن زوجي ربما قد حدث له شيء من أثر الحرارة المستمرة..

ونحن بجوار المستشفى قال لي جارنا.. انتظرى سأذهب وأسأل عن حالته ثم أعود..

رفعت طرفي إلى مكان غرفته.. أُقلب الطرف.. ويعود كسيرًا..

طالت غيبة جارنا.. أو حسبت أن الأمر كذلك..

لم أستطع الصبر.. وعندما هممت بدخول المستشفى.. فإذا به قادم مطأطئ الرأس..

قال بصوت خافت.. رحمه الله.. اصبري..

قلت له.. هل ذهبوا به من هنا..؟

قال.. لا..

قلت.. لا بد أن أراه.. وأصررت على ذلك..

ذهبنا نحن الثلاثة.. وأنا أردد ﴿إنا لله وإنا إليه راجعون﴾

أسابق اللحظات.. وأحث الخطى.. دلفت إلى غرفته..

فإذا به ممددًا على السرير.. ومغطى برداء..

كشفت الغطاء..

فإذا بوجهه تعلوه السكينة والبشر.. لم أشعر إلا وأنا أقبله على جبينه.. إلى جنة الخلد.. إلى الحور العين..

أخرجوني ولساني يردد ﴿إنا لله وانا إليه راجعون﴾

اللهم أجرني في مصيبتي وأخلفني خيرًا منها..

الصدمة قوية.. والفجيعة كبيرة..

ولكني أحتسب مصيبتي..

دفناه هنا حيث الأرض التي أحب..

فرحٌ حولي من المعزيات.. فالجميع يعدد محاسنه.. ومحافظته على الصلاة.. حمدت الله على هذه الخاتمة الطيبة

تفكرت في حال الدنيا.. إن أعطت أخذت.. وإن أفرحت أبكت.. وإن أسرت أحزنت..

ساعات قليلة.. بين فرحي وحزني.. بين ابتسامتي ودمعتي

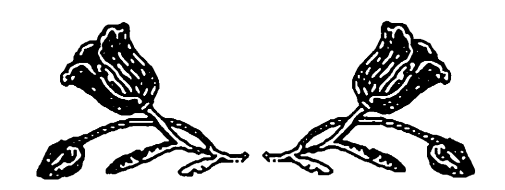
* اليوم..

انْقَلَبتْ إليَّ غُربتي.. وعادتْ إليَّ وحدتي.

فقدت عادل.. ولكن بقي رب عادل..

لن يضيعني أنا.. وبدور..

وهو أرحم الراحمين..





العيـــد

بينمـا الفـتى مـرح الخطا فـرحٌ بما
يَسـعى له إذ قـيل: قـد مـرض الفـتى
إذ قـيل: بات ليلة مـا نامـهـا
إذ قـيل: أصـبح مـثـخنًا مـا يُرتجى
إذ قـيل: أصـبح شاخـصًا ومـوجهًا
ومـعللاً إذ قـيل: أصـبح قـد مـضى

أيام العشر الأواخر من رمضان بدأت تنقضي.. والعيد قاب قوسين أو أدنى.

لا أعرف أين سنذهب وأنا أنتظر صديق الطفولة.. ولكن كالعادة الجزء الأكبر من وقتنا ليلاً نقضيه في جولات بين الأسواق والتجمعات والشوارع..

وحين استقريت على مقعد السيارة بجوار عبد الرحمن سألني..

هل جهزت ثوبًا جديدًا؟!.. لقد أقبل العيد!!

قلت له.. لا!! قال: ما رأيك نذهب للخياط الآن..

وأنا أهز رأسي متعجبًا سألته.. بقي ثلاثة أيام أو أربعة على العيد.. أين نجد الخياط الذى يسابق العيد ويختصر الأيام؟!

لم يعجبه حديثي واستغرابي..

سابق الزمن بسيارته حتى توقفت أمام الخياط بصوت قوي يوحي بالعجلة والتسرع!!

فاجأني صاحبي بالسلام الحار على الخياط فهو يعرفه منذ زمن وقال له: نريد أن نفرح بالعيد.. ونلبس الجديد!!

ضحك الرجل وأجاب وهو يربت على كتفه!! كم بقي على العيد.. لماذا لم تأت مبكرًا؟!

أجاب عبد الرحمن وهو يهز يده بحركة لها معنى.. سنزيد لك في الأجرة.. المهم أن ينتهي بعد غد!!

وأعاد الموعد مرة أخرى.. بعد غد..!!

وأنا أرقب المفـاوضات الشاقـة إذا بصاحـبي يدفع جزءًا من الثـمن وهو يردد. ويؤكد.. بعد غد.. لا تنس الموعد..

* حتى قبيل الفجـر.. ونحن لاهون.. ساهون.. غافلون مضت الليلة كـاملة لم نذكر الله - عـز وجل - فـيهـا ولا مرة واحـدة.. ربما أنهـا ليلة القدر..

حياة لا طعم فيها.. وسعادة لا مذاق لها..

ولجنا من المعاصي كل باب.. وهتكنا منها كل حـجاب.. وحسبنا الأمر دون حساب.. إظـهار للسرور والسعـادة.. وضحكات تملأ المكان.. ولكن في القلب هم وغم.. والنفس تحلق بها حسرات ويحيطها نكد..

افتـرقنا قبـيل الفجـر.. يجمـعنا الليل والسهـر والعبث.. نلتـقي على المعاصي وتجـمعنا الذنوب.. نوم طويل.. يمتد من الفـجر حتى العـصر.. صيام بلا صلاة.. وصلاة بلا قلب..

ساعة الصيام التي أستيقظ فيها قبل المغرب كأنها أيام.. أقطعها بالمكالمات الهاتفية العابثة.. وبقراءة الصحف والمجلات..

وأنا أنتظر موعد آذان المغرب حادثني بالهـاتف أحد الأصدقاء.. وصوته متغير وقال.. أما علمت أن عبد الرحمن مريض..

قلت.. لا.. مساء البارحة كان بصحة جيدة وعافية..

قال.. إنه مريض..

انتـهت المكالمة.. والأمـر لا يعني لي شـيـئًا.. سـوى مـعلومـة غيـر صحيحة.. والمؤذن يرفع أذان العشـاء.. فإذا بالهاتف يناديني.. إنه الشقيق الأكبر لعبد الرحمن.. قلت في نفسي ماذا يريد؟! هل سيؤنبني على ما أفعله أنا وعـبـد الرحــمن؟! أو أن أحـدًا أخـبـره بزلة من زلاتنـا أو سـقطة من

سقطاتنا..

ولكن أتى صوته مُنهكًا مُجهدًا.. وعبارتُه تُقطع الحديث..

وأخبرني بالخبر.. مات عبد الرحمن..

بِهُتُّ.. ولم أُصدق.. لا أزال أراه أمامى.. وصوته يرن فى أذني.. كيف مات؟!

وهو عائد إلى المنزل ارتطم بسيارة أخرى قادمة ثم حُمل إلى المستشفى.. ولكنه فارق الحياة ظهر هذا اليوم

أذني لا تصدق ما تسمع.. لا أزال أراه أمامي.. نعم أمامي بل اليوم موعدنا لنذهب إلى السوق الفلاني.. بل وغدًا ثياب العيد..

ولكنه أيقظني من غفوتي وهز جوانحي وأزال غشاوة على عيني عندما قال.. سنصلي عليه الظهر غدًا.. أخبر زملاءك!!

انتهى الحديث..

تأكدت أن الأمر جدٌّ لا هزل فيه.. وأن أيام عبد الرحمن انقضت.. آمنتُ بأن الأمر حق وأن الموت حق.. وأن غدًا هناك في المقبرة لا عند الخياط!! لقد أُلبس الكفن وترك ثوب العيد.. تسمرت في مكاني.. وأُصبت بتشتت في ذهني. وبدوار في رأسي.. قررت أن أذهب إلى منزل عبد الرحمن لأستطلع الأمر.. وأستوضح الفاجعة..

وعندما ركبتُ سيارتي فإذا بشريط غناء في جهاز التسجيل.. أخرجته.. فانبعث صوت إمام الحرم من المذياع يعطر المكان بخشوعه وحلاوته.. أنصت بكل جوارحي.. وأرهفت سمعي كأن الدنيا انقلبت.. والقيامة قامت.. والناس تغيرت.. أوقفت سيارتي جانبًا أستمع.. وأستمع.. وكأني أول مرة أسمع القرآن.. وعندما بدأ دعاء القنوت.. كانت دمعتي

أسرع من صوت الإمـام.. رفعت يدي تستقـبل تلك الدموع.. وقلبي يردد صدى تلك العبرات.. وبارقة أمل أقبلت خلف تلك الدموع..

أعلنت توبة صـادقـة.. بدأتهـا بصحـبـة طيبـة ورفـقـة صالحـة.. من كرهتهم.. هم أحب الناس إليَّ..

من تطاولت عليهم.. هم أرفع الناس في عيني.. من استهزأت بهم.. هم أكرم الناس عندي.. كنت على شفا جرف هار.. ولكن الله رحمني.

بعد فترة من الزمن.. هدأت نفسى.. أطلت سعادة لا أعرفها.. انشراح في القلب.. وعلى عيني سكينة ووقار..

* فاجأت الخياط وسألته عن ثوبي.. سأل عن عبد الرحمن.. قلت له مات.. أعاد الاسم مـرة أخرى.. قلت له.. مات.. بدأ يصف لي الرجل وسيارته وحديثه.. قلت نعم هو.. لقد مات

وعندما أراني ثوبه بدأت أسترجع الذاكرة.. هل حقًا مات؟!

ثوبي بجوار ثوبه.. ومقعدي في السيارة بجوار مقعده.. ولكن بقي لي أجل وعمر.. لعلي أستدرك ما فات..

حمـدت الله على التوبة والرجـوع والأوبة ولكن.. بقى أخ لي هناك.. لا يزال على عينيه غشاوة ويعلو قلبه ران المعصية..

هل أتركه؟!.. شمرت عن ساعدي.. لن أتركه..

أمامه نارٌ وعذاب.. وأهوال وصعاب..

لن أتركه.. وقد هداني الله..

هنا كتابٌ.. وهناك شريط

وبيني وبينه نصيحة صادقة ..



إلا باب السماء

قال بعض السلف : من الذنوب ذنوبٌ لا يُكفرها إلا الغم بالعيال.

قال محدثي يؤكد ذلك:

إنهـا من صمـيم الواقع.. ليـست من نسج الخيـال.. ولا أسطورة من الأساطير.. أنا الأب.. وطفلي محور الحديث بعد انقضاء شهر رمضان ومع إطلالة العيـد.. لاحظت أن ابني عبـد الله صاحب السنتين والنصف مـتعب ودرجة حرارته مـرتفعة.. اختـفت الابتسامة.. وذبلت النضـارة.. ولم يعد صاحب الحركة والشقاوة.. أصابه الضـعف فجأة.. نظراته زائغة.. وحديثه متقطع.. يبحث عن مكان ينزوي فيه..

فزعنا إلى الكمـادات والمهدئات ريثما نبحث عن طـبيب.. لكن الحرارة عادت مرة أخرى في الارتفاع.. ليس هناك خيار.. ولا وقت للتشاور..

تبادر إلى ذهني جـميع المستـشفيات.. ولكن نحن في إجـازة.. قررت الذهاب به للطوارئ..

قلت لوالدته وأنا أحمله بين يدي.. لا تخـافي.. كل الأطفال هكذا.. وتابعت حديثي لأطمـئنها قبل أن أغلق الباب الطفل سـريع المرض.. سريع الشفاء.. هدئي من روعك.. واتكلي على الله..

* بعد سير متقطع من شدة الزحام

تبهرك الأنوار في الخارج

ثم تدلف إلى عالم آخر وأنت تصعد عتبات المستشفى..

عالم بطيء الحركة.. تختفي فيه الابتسامة.. لا مكان للكبرياء والتسلط فيه.. الإنسان هنـا ضعيفٌ.. ضـعيف.. هذا منكس الرأس.. وذاك ممسك بـكلتا

يديه على بطنه.. وصوت أنين تسمعه يَقطع الصمت ولا ترى صاحبه

أما الجرحى ونزف الدماء.. تراه بين حين وآخر يسبقه صوت سيارة الإسعاف في الخارج.. ثم لحظات وتقع عينك عليه..

لا تتذكر أن هناك شيئًا اسمه الصحة والعافية إلا إذا أتيت هنا..

في زاوية بعيدة.. صاحب الثمانين عامًا.. رجل مكتمل العمر تراه فقد كل شيء!!

النظرات.. زائغة.. يمنة ويسرة.. تبحث عن طبيب.. عن دواء.. لا تُحس نعمة العافية إلا عندما ترى وتُشاهد.. ربما تجد صحيحًا معافى يسير ببطء وكأنه يقفز ويجتاز البحار في عيون المرضى..

هانت حالة ابني عندما رأيت الألم يعتصر الجميع.

صُرفَ لنا أشكالٌ وألوان من الأدوية.. تحسست طعم العافية وأنا أخرج من المستشفى..

* في اليوم الأول تحسنت صحته قليلاً..

ولكن بعد نفاد الدواء عادت الحرارة.. عُدنا إلى الطبيب..

لمح في عينيَّ وأنا أشرح حالة ابني الاضطراب والقلق.. طمأنني.. لا تخف.. وصرف لنا نفس الأدوية السابقة!!

نفرح بالدواء عندما يُصرف.. ولكن الحالة تعاوده..

تكررت المراجعة خمسة أسابيع متتالية ولكن بدون نتيجة..

ساورني الخوف.. والدته أكثر مني.. أصبح حديثنا هو..

بدأ الطفل يضعف وتقـل شهيتـه للأكل.. يمشي ببطء ويحس بوجع في عظامه ولا حظت والدته اصفرارًا في لونه..

ذهبت به إلى مستشفى خاص وفحصـه استشاري.. سأل أسئلة كثيرة.. وقال بعد محاورة طويلة:

هذه الحالة لا تحتاج لمجـرد صرف الأودية والفحص السريع.. لا بد من تنويم وتحليل شامل..

أدركت أن في الأمر شـيئًا وأن هناك أيامًـا طويلة تنتظرنا.. قَبلتُ جـبينه وحملته إلى قـسم التنويم.. بدأت تنهال عليه الحقن بأشكال وألوان مـختلفة وهو يستنجد بي.. لا أملك إلا أن أُمسكه بقوة وأُسلمه لتلك الحقن..

علا صوته.. وارتفع أنينه.. وسالت دموعه بعضها يسقط على يدي وأنا ممسك به..

تخاطبني تلك الدموع.. ما هذه القسوة يا أبي؟

شيء في صدري يضطرم.. وبين أحشائي قلب يذوب..

دموعك يا بنى.. ليست إلا نقطة في بحر آلامي..

يا بني.. أنا لست تمثالاً ولا قلبي حجر..

* مرت بضـعة أيام ونحن في ترقب.. كلمـا دخل علينا طبيب تـلهفنا سـمـاع جواب مـنه.. ننتظر كلمـة تُحـيي الأمل.. وتداوي الجُـرح ولكن التحاليل على كثرتها لم تعط نتيجة واضحة!!

الرد الوحيد.. المرض في الدم

زاد تدهور حـالة طفلي حـتى لم يعـد يقـدر على الجلوس فـضـلاً عن

الوقوف.. ونظرات شاردة تطاردني كلما أقبلت

وسؤال في عينيه.. متى أخرج من هنا.؟!

بارقة الأمل في علاجه تخبو وأنا أسمع الطبيب يحادث زميله: رغم ضعفه الشديد لا نستطيع نقل الدم إليه لأن ذلك يؤثر على نتيجة التحاليل.

* ونحن في تلك الحال.. والأيام تسير ببطء وطفلي بدأ يفقد الحياة.. طلب منا الطبيب إجراء فحص لنُخاع العظم.. فهو مصنع الدم في الإنسان

وافقت بدون تردد وقلبي يعتصر ألمًا وأنا أنظر إلى رأسه.. وجمجمته الصغيرة.. تلمست استدارتها بيدي.. وكأني أتلمس العافية.

تم تخدير الطفل وأخذت عينة من نخاع العظم.. وطُلب مني أن أجري هذا التحليل في مستشفى خاص.. سرت وأنا أحمل العينة.. عينيّ شاخصة.. وقلبي معلق برب السماء.. لا أذوق للحياة طعمًا ولا للنوم لذة..

سلمت العينة للمختبر ومعها خطاب يحدد نوع التحليل المطلوب.. فرحت ربما أن نتيجة هذا التحليل تُنهي ألمه ومرضه..

في اليوم الثاني.. واللحظات تمر بطيئة ودقات قلبي تسابق عقارب الساعة.. عجزت عن التفكير في كل شيء

تناولت سماعة الهاتف.. ربما أن التقرير وصل.. تحاملت على نفسي وسألت عن النتيجة.. أترقب العافية والشفاء لطفلي..

عادت أذني تطرب لضحكاته.. تذكرت جريه ليستقبلني.. جلوسه على ظهري..قُبلتُه على جبيني..

في نشوة الفرح.. أجاب بكلمة مروعة.. شتت آمالي.. وبعثرت أحلامي.. فجرت الدم في عروقي.. وتركت صداها في أُذني.. نزف لها

قلبي ودمعت عيني.. ورفعت أصبعي.. الحمد لله

قال «إن مرض ابنك هو سرطان في الدم»..

لحظات طويلة قاسيت فيها الهموم.. اضمحلت الدنيا في عيني.. ولم تستطع قدماي السير.. سُدت الطرق أمامي..

وأُغلقت الأبواب فى وجهي.. ولكن تذكرت..

هناك باب واحد لا يُغلق.. باب السماء..

فرحت بهذا الثبات..

الحمد لله.. وأكملت.. إنا لله وإنا إليه راجعون

تداركت نفسي.. وتحركت خطوات ثقيلة..

دارت في ذهني أسئلة لها أول ولا أعرف لها آخر.. سأودع ابني قريبًا كيف سأخبر والدته وأخوته؟ بل كيف سأنظر إليه؟ أهي نظرة وداع.. أم نظرة رجاء..؟! أسرعت أسئلة متلاحقة تطرق قلبى ثم قفز سؤال شدني من مكانى.. قفزت بقوة أجري هل سألحق به في المستشفى..؟ أم أنه توفي..؟

مشاعر متقلبة.. وأسئلةٌ مضطربة.. حملت قدماي أسير في طرقات المستشفى أجمع أطراف الكلام..

* والدته بجواره.. بفرح.. بشِّر ما هي النتيجة؟

ماذا أجيب.. حيرتي أكبر من حيرتها..وحاجتي للسكوت أكبر من حاجتها للجواب.. ذبول وشحوب يخيم على سرير ابني.. أستعجل اللحظات والدقائق..

ربما ينقل إلى مستشفى متخصص في الرياض.. لحظاتٌ بسنوات..

ودقائق بأعوام.. تمر بطيئة ثقيلة..

تم نقله بعد جهد وعناء..

* في مساءٍ طويل.. والحديث طويل..

الحزن يلف رداءه حولنا. والألم ناصبٌ رايته في قلوبنا

غدًا عيد الأضحى..

زمانٌ بين عيدين.. عيدٌ بأي حال عدت يا عيد

اصبر واحتسب.. ما قدر الله كان.. مسحت الحزن عن قلبي ودعوت الله دعوة موقنٍ بالإجابة

في ثاني أيام العيد..

صرخات الأطفال تصل إلى مسامعي.. وأصوات الحديث تعلن الفرح بالعيد.. والتهنئة على كل لسان

الأمر لعبد الله مختلف.. يتلوى على فراشه من الألم

نظرتُ إليه وهو على سرير المرض.. يتقلب.. لا يستطيع الحركة.. فتح عينه بصعوبة ليتأكد من وجودي.. نظرات غير مفهومة..

مسحت دمعة في عيني لِما أرى.. تحكي حالي وألمي..

أبى الصبر آيات أراها وإنني

أرى كل حبل بعد حبلك أقطعا

وإنّي متى ما أدع باسمك لا تُجب

وكنت جديرًا أن تُجيب وتسمعا

اليـوم يبـدأ علاج ابني بـالعلاج الكيـمـيـائي.. وما أدراك مـا العـلاج الكيميائي؟!

حُقن تُـعطى مع المغذي في الدم لتُـدمر الخـلايا الخبيـثة ومـعهـا الخلايا الطيبة.. العلاج طويل ومركز يستمر ثلاث سنوات..

* في الشهر الأول من العلاج..

نوِّم طفلي شهرًا كاملاً ليصارع المرض ويحتسي ألم الدواء الكيميائي

بعد ثلاثة أسابيع.. هناك تحسن بسيط بدأ يمشي مشية بطيـئة مهزوزة.. وأشار علينا الطبيب بإمكان عـلاجه فى مديـنتنا.. بعد أن رأى المشـقة التي أعانيـها من مكوثي وحيـدًا مع ابني.. وأمه وأخوته هنـاك.. حملت طفلي مغادرًا المستشفى..

حملني همٌّ وغم.. طفل يصـارع الموت.. وأم تصارع الأحزان.. وأب يصارع الحياة.. وسؤال في عين طفلي..

أين تذهب بي يا أبي.. أما تعبت من حملي..؟ ألِمُستشفى آخر أم إلى بيتنا..؟ أريد أن أرى أمي..

* أقمنا مدة واضـطررنا إلى العودة بعد شهريـن وفي الأسبوع الأول من إقامتنا أجرى تحليلاً آخر..

الفرح يُعطـر المكان.. والسعادة تحـوم حولنا.. ولكن المفـاجأة.. أتت بصوت قوي انتكست حالة الطفل.. مرحلة انحدار خطرة..

أصابني إعصار الفوضى.. ماذا أفعل.. كيف أتصرف؟

لقد بدأت الخلايا السـرطانية تعاود نشاطهـا من جديد.. لا بد من إعادة

برنامج العلاج من جديد.. وبتركيز أشد..

تأثر الطبيب وهو يقرأ التقرير ثم أردف وكأنه ينعي إليَّ ابني..

إن شئت نبدأ بالعلاج من جديد هنا.. أو تعود إلى جدة..

قلت له بل هناك في جدة

أمسكت تقرير ابني في يدي.. وخرجت بطفلي من المستشفى وصوت الطبيب يُلاحقني..

عليك بسرعة العلاج وعدم الإهمال.. حالة الطفل خطيرة..

* طرقت أبواب المستشفيات..

تحمل ابني من الإبر ما لا يتحمله رجل كبير.. لم يبق موضع لإبرة جديدة.. يحتار الطبيب أين يضع إبرته.. قاسى من الآلام.. ومن البعد عن والدته وأخوته الكثير.. تعرف على وجوه الأطباء وعلى أنواع الأدوية

أما أنا.. فقد حفظت كل شيء في المستشفيات.. أصبحت سكني الدائم وأصبح صراخ وبكاء ابني واستغاثته لا معنى لها.. يستنجد بي من شدة الألم ولكن ليس الأمر بيدي يا بُني..

كل الأبواب طُرقت إلا باب الله.. وكل الأبواب أُغلقت إلا باب الله..

﴿أمَّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾

* سمعت فى تلك الفترة عن شيخ يرقي بالقرآن

وأشار علي بعض الإخوة بذلك.. الحمد لله.. القرآن فيه شفاء..

تنازعتني الأهواء.. كثر الحديث.. تشتت ذهني..

كيف سأترك الطب الحديث.. ربما.. وربما؟!

استخرت الله قبل أن أذهب..

* نمت تلك الليلة فرأيت في المنام أني أقف على شاطئ البحر وكانت المياه على الشاطئ ضحلة.. وفي جزء معين كانت الأرض ظاهرة للعيان قد انحسر عنها ماء البحر، وفجأة تظهر حفرة في طين البحر.. يخرج منها ما يسمى سرطان البحر ويذهب بعيدًا..

استيقظت وكانت نفسي منقبضة تلك الليلة من خبر انتكاس المرض.. حدثت بتلك الرؤيا من أثق به..

قال.. أبشر لعله خير إن شاء الله.. فالطين هو ابن آدم والسرطان يخرج منه إن شاء الله

استبشرت خيرًا وقررت الذهاب إلى الشيخ ليرقى ابنى بالقرآن..

في زحام المرضى.. هناك راحة نفسية تشعر بها.. وقصص العافية تزين المكان..

بارقة أمل أطلت عليَّ.. وسحابة خير أظلتنى.

تمت الرقية على ابني.. وطلب مني المراجعة ثلاث مرات كل أسبوع.. وأوصاني أن أقرأ بنفسي عليه آيات من القرآن

قررت إيقاف العلاج بالمستشفى.. لعدم تمكني من إخراجه عندما يبدأ علاجه بالكيميائي

* مرت ثلاثة أسابيع.. تحسنت فيها حالة ابني..

في كل موعد أسافر من جدة إلى الرياض ثم أعود..

عانيت من التعب والمشقة الكثير..

وعندما انقضت مدة الرقية وهي ثلاثة أسابيع..

قررت العودة للمستشفى.. ولكن لا بد من الانتظار لحين فراغ سرير..

سجلت رقم هاتفي لدى المستشفى وأُعطيت أولوية الدخول نظرًا لتأخري في العلاج.. ووضع الطفل كما ذكروا لا يسمح بإضاعة دقيقة واحدة..

* أيام معدودة..

فإذا بالهاتف ينادي..

عليك الحضور سنأخذ عينة لنخاع العظم على أن يكون الطفل صائمًا.. أخذت ابني.. وأخذتني الحيرة.. وتبعتها آلام الصغير وصراخه..

أقبلت على المستشفى..

وأنا أدعو الله أن لا يعيدنا إليه مرة أخرى

أُخذت العينة.. وعدت للمنزل..

حديثنا.. بين التحليل والنتيجة؟! أسبوع كامل..

تركنا الأمر للتفسير.. ماذا؟ وكيف؟ وأين؟

في موعد التحليل أسرعت بي أقدامي.. أحسست أن هناك خيرًا ينتظرني..

* جلست مع الطبيب لأسأله..

فكان جوابه الذي هز أعماق قلبي..

تأكدت أنني أعي ما يقول..

أرهفت سمعي.. وأسكنت جوارحي..

في زمن لم يعد للفرحة في قلبي مكان

بحثت عن ابني يمنة ويسرة.. لأُقبله..

لأنظر في عينيه.. لأمسح دمعته..

التفت إلى مكان لأسجد سجدة الشكر لله.. ومن أحق منه بذلك

«بعد أن كانت عند الانتكاسة بليونين من الخلايا على أقل تقدير لا أثر الآن للخلايا السرطانية»

واستطرد الطبيب

يسمى هذا بوضع الكُمُون..

أي عدم ظهور أي خلايا في التحليل.. ويجب وضعه تحت الملاحظة تحسبًا لأي أعراض.. أسرعت خارجًا..

التفت أبحث عن هاتف لأخبر زوجتي.. ولكن خطواتي أسرع من نظري..

سقطت دموع حُزنٍ أيامًا طويلة.

أما الآن..

ليست دموع فرح فحسب..

بل فرح وشكر

استرجعت الذاكرة

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾

رأيت هذه الآية في نفسي..

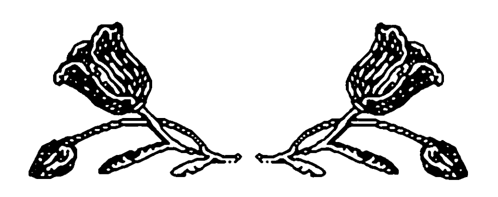
وعشتها في بيتي..

هنا بين أكوام التقارير والأرقام والتحاليل..

بين بكاء الطفل وحزن الأم.. وهم الأب..

صدق الله إذ يقول

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين﴾





بُغض الحـياة وخـوف الله أخـرجني

وبيع نفـسـي بما ليـست له ثمـنا

إني وزنت الـذي يبـقى ليعـدله

مـا ليس يبـقى فـلا والله مـا اتزنا

الحمد لله الذي جـمعنا فى هذا المكان.. لا نعبد صنمًـا ولا نطوف بقبر ولا نقدس شجرة.. الحمد لله الذي جمعنا على التوحيد نعبد واحدًا أحدًا.. فردًا صمدًا.. لا نِد له ولا شريك

هناك أيها الأحبة..

يُعبد الحـجر من دون الله..يُطاف على القبور.. ويـتوسل بالأموات.. هناك.. الجهل ضاربٌ أطنابه.. تعشعش الخرافة.. وتنتشر البدعة.. ويخيم الشرك..

أين أنتم يا أهل الإسلام من تبليغ الدعوة..؟

ما لكم تأخرتم عن الركب..؟

من يحمل همَّ الدعوة سواكم وأمثالكم؟

إنصـاتٌ.. ترقب.. والـشـيخ واقف كـالرمح بعـــد صـلاة التـراويح يتحدث.. كلمـاته تُعطر المكان. تلامس القلوب.. تحرك المشاعـر وتشحذ النفوس..

تحسست محفظتي.. إنها دعوةٌ للتبرع..

ولكنه توقف قليـلاً.. يسترجع الأحـزان من تقصيـر شباب الأمـة وكأنه يحدثني..

لم آت هنا لجمع الأموال..

أتيت لأستحث الهمم وأذكركم بواجب الدعوة إلى الله..

كان سلفنا الصالح يقطعـون الفيافي والقفار لتبليغ الـدعوة.. وتصحيح المُعتقد الآن.. وكل وسائل الدعوة ميسرة.. ماذا قدمنا..؟

لا أدعوك ـ أخي ـ لتبذل كل وقتك . .

لا . . بل فضل وقتك . . ما زاد من وقتك اجعله للدعوة . .

كانوا ـ رحـمهم الله ـ يَهـبون كل أوقـاتهم للدعـوة . . وما فضل مـنها للدنيا . .

* رغم كثرة عدد المصلين . . وإنصات الجميع . .

أحسست أنه يحدثني وحدي . . ويستحث خطاي . .

تركت محفظتي . . أخرجت يدي من جيبي . .

وأنا أردد . . هذه دعوة التوحيد . . تحتاج إلى رجال . .

حال المسلمين يُرثى له . . !

خرجت من المسجد وعيني تبحث عن ذلك الشيخ . .

وعندما صافحته . . كانت الكلمات تسبقني . .

أين الطريق . . سأذهب للدعوة . . أنا طبيب . .

قررت وبدون تردد . . السير في طريق الدعوة إلى الله . .

تركت رحلتي إلى كندا حيث رسالتي للدكتوراه . .

قررت أن أؤجلها ستة أشهر . .

* جريت في أودية الدعوة . . صعدت الجبال . . وزرت السهول . .

رأيتُ عبـادة القبـور . . والطواف بها . . والذبح على عـتبـاتها . . رأيت البدع والخرافات . .

ورأيت شبـاب النصارى تحت الشـمس المحرقـة . . والأوبئة المنتـشرة . . يبذلون كل شيء في سبيل التنصير . . !!

مرت الأيام سريعة وأنا حركة لا تهدأ.. ونشاط لا يفتر

ثم بعد نهاية المدة..

استخرت الله.. أين أتجه؟ وأين أسير؟

جلسة هادئة.. وتفكير عميق..

وماذا بعد.. لو أنهيت دراستي وأنا على حالي السابقة..

وحصلت على شهادة الدكتوراة.. ثم ماذا؟

تذكرت دعوة الله.. **﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض﴾**

سارعت إلى جنة عرضها السموات والأرض

في كل يوم دعوة ترتفع إلى عنان السماء..

حيثُ يُزرع الإيمان في القلوب.. وتُنار الطرق والدروب..

إنها رحلة الدعوة.. إنه سباقٌ إلى الخير..

حيث تبليغ الرسالة والسير على منهج الرسول ﷺ

تألمت وشباب الإسلام أيامه تضيع.. وأوقاته تُهدر

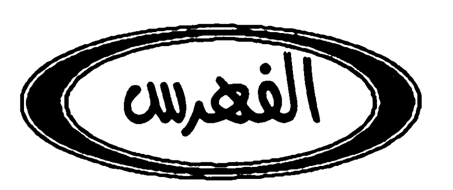
والمسلمون في أشد الحاجة إلى من يعلمهم ويفقههم

إنها دعوة للسير في طريق الدعوة

يُعلم الجاهل.. ويُنبه الغافل.. ويُعبد الله بما شرع

في صدر هذه الأمة سباق إلى الخير..

أين نحن منه؟



الموضـــــــــوع | الصفحة



الموضـــــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع | الصفحة



الموضـــــــوع | الصفحة

المجموعة الثالثة